

المسيرة

التي تلتها والأربعون

أيار - حزيران ١٩٥٠

على أقدام مريم الطاهرة

بقلم الأب ا. عبده خليفة اليسوعي

ذلك الابن وتلك الام من يضع حاجزاً؟ يستطيع لسان ان يقول:
يسوع ذون ان يتسم معه وإثره في هندو. الحبست: يا مريم.

وانها مريم! هي من الطهر كله ومن الجمل كله، ومن اعماق زنها
المسقة، هي توق الى الله لا محدود، تجنح اليه ارادتها، وتبته باحه الفاطمة،
الازلي في كيانها له مقر ومبيت. لقد عرفت كيف تلتقه يوماً غب يوم
سطور الاسفار المقدسة! ولقد احبته حباً كبيراً.

كل ما فيها صفاء على شفت نفسها الفريدة الطهر تنعكس اسرار الثالث
التي هي المحبة.

وانها مريم ام يسوع اكذا قدر لها النسيب الاوفر . فلم يكن لعدو البشر
عليها سلطان ، غُتت بآلام ابنها ، قبل الامه ، فاذا هي نية من وحول الامم
بريشة من لدعة الشر . انها البريشة لانها ام البري الاول والاخير . وبذلك
الضيق ونقا . الفكر ، اعدها الله لتحمل ابنها الى البشرية ويكون به خلاص

٥

يشهد لنا الكتاب : انها تلك المرأة التي ، في فجر التكوين ، صنت
الحية النافخة لسم في جسم الانسانية . انها العذراء . حواء الاولى كانت مثل
الموت ، وحواء الثانية هي ينبوع الحياة .

ادم وحواء مالا عن سنة اخلاق ، فحل بينا العقاب وحل من بعدهما بقاء
البشرية . ولكننا قافلة يقودها سيد يشاء لها خلاص . ويرجى ذلك الذي
الاول الانيم ، أثبت فرعاً آخر هو فرع تلك المرأة العجيبة ، قاهرة الشيطان
سأضع عدا بينك وبين المرأة ، بين نسلك ونسلي . انها ستحق رأسك
(تكوين ١٢: ١٥) .

وهذه المرأة الطالعة مع صباح الخليفة هي العذراء مريم . هذا قال الاب
انكليسي ومنكروها عبر الاجيال فعلن القديس يوستينوس : « من تلك العذراء
سيولد ذاك الذي اعده الله لهلاك الشيطان وتبأعه »^(١) . ويعين القديس ايريناوس
« ذلك الشيطان الناهش » القتال ، المبعد الانسان عن درج الله ، كان له الظفر
اني ان كان ابن مريم فحق راسه^(٢) . ويقول القديس قريانوس : « ذاك من الوحي
ان نسل المرأة سيحطم راس الحية »^(٣) . ويصيب ابيفانوس قولاً اذ يشهد ان
الظفر القيد لم يضع حواء بل نسل مريم الطاهر القديس^(٤) . وايرونيوس
القديس الضخم الصوت ، ينادي بالمرأة الموعود بها في الكتاب انها هي
التي تكلم عنها بولس في رسالته الى الغلاطيين^(٥) . وهكذا قال القديس
برناردوس ايضاً .

(١) موسوعة الاباء اليونان ٢١١/٦

(٢) موسوعة الاباء اليونان ٦٤/٢

(٣) موسوعة الاباء اللاتين ٧٤٠/٤

(٤) موسوعة الاباء اليونان ١٣٠/٤٩

(٥) موسوعة الاباء اللاتين ٨٢/٣٠-٨٣

هذه الشهادات لم تكن اعتبارات باطلة . فلقد جعل منها تعليم الكرسي الرسولي حقيقة ان تقبل من بعد جدلاً ولا شكاً . اما أقريبيوس التاسع ، في براته Ineffabilis Deus بان ابا . الكنيسة وكتابها علموا هذه الحقيقة واعلنوا ان وعد سفر التكوين هو وعد بمخلص عتيد الى العالم وبامه الطوباوية العذراء . مريم وبعدها للحية . — اما اعان بيوس الثاني عشر المالك سعيداً في براته Munificentissimus Deus ، ان ابا . الكنيسة منذ الجيل الثاني عرفوا في مريم وجه حوا . الثانية ، حاملة الظفر ، قائدة المعسكر الجديد الى غار النصر النهائي على قوى الشر التي تهدد البشرية . انها فوق الزوابع والمواصف ، وانها لا تمس ، وانها تقطن افاق الجبال حيث تنادي باسمها ! انك الجبال كله يا مريم .

رأها اشعيا ، من اغوار مخيلته الجيالة ، عذراء ، تحبل وتلد ابناً يسى عمانوئيل (١٤/٧) وهي مرة اخرى نجد فيها رسم تلك المرأة السرية برفقة «الولد العجيب» . انه ابنها ، هي امه ، ولم تعرف رجلاً بل عاشت في جو من الطهر ما عرفته مخلوقة قبلها ، وبمصلحتها ، لانها الوحيدة بين النساء ، لانها ام وعذراء ، حقاً ، طاهرة الذيل وهي والدة . انها اعجوبة الخلائق وتحققها . انها العطية الخلاص لبيت داود ، ذلك الخلاص الذي انفجر وحيّاً على عيني اشعيا المنذهلتين قبل ان يتفجر حقيقة ملوثة على اعين التاريخ .

ثم نسير صمداً بين اسفار النبيين من العهد القديم ، وقد علاها الفموض ، فلا رسم للعذراء . واضح الملامح ، بين التقاطيع ، من خلال تلك السطور ، واذا بنا على عتبة العهد الجديد نضفي الى حثاف الملاك البشير : «السلام لك يا مملوءة نعمة !» ونص الانجيل باللغة اليونانية فيه من القوة ما يجنل العذراء امتلاء من النعم لا مزيد عليه .

هذا الامتلاء هو نتيجة علاقة العذراء بابنها ، هي امه وهي مشاركة له في جميع مراحل حياته ، منذ ما وضعته عارياً على حضيض المذود الى الساعة التي رآته فيها عارياً على خشبة الصليب . وعندما استندت الكنيسة على السلام

الإنسكي لتعلن غنية الانتقال ، أعلنت ضمنا بان جسم العذراء الذي ما عرف
خطيئة هو اهل يرافق روحها الى خدر السعادة المطلقة .
ويزيد الملاك المبشر : « مباركة انت ومباركة ثمرة بطنك » بركة متبادلة
بين الاله والابن ، تتجاوب من خلالها النعمة التي تجعل من ام الاله وريثة اولى
نعطايا الاله .



واذا بكلام الصبايات يلقي نوراً جديداً على سلام الملاك . أما هتفت :
« آتني لي ان تأتيني ام ربي ؟ » . اية قداسة واي كمال يتطلب هذا اللقب !
ولقد كانت مريم كمال القداسة البشرية ، أبدعها الله اقرب ما يكون من
صورته ومثاله ، واسبق عليها دون عذر وحجاب عطاياه الازلية ، وجعلها
باقية ما تستطيع الحليمة ان تجعل وتحمل من جمال الخالق . لقد قال تلاميذه
مرة : كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو . وهذا الكمال افاضه
كنهه على من أعدت منذ موعده البشر مع الارض ان تكون امه .



لم يستطع الشر ان يחדش كيان يسوع ولم يستطع احد ان يثبت عليه
خطيئة . وفي جونا الموي . بنفثات الثنين الهائل وسومه ، يسوع ما اشم غير
عطور القداسة . وكذلك امه . هي المرأة الحبيارة التي تلتحقها يوحنا في رؤياه ،
ما جرحت قداستها اخافر الثعبان ، ذي السبعة الرؤوس : « فأعطيت المرأة
جناحي العقاب العظيم ، لتطير الى البرية ، الى خاوتها ، بعيدا عن وجه الحية ؛
حيث تعال زمانا ، وأزمنة ، ونصف زمان . فالتقت الحية من فيها ، في اثر
المرأة ، ماء ، كالسيل ، تهللكها به . فاغاثت الارض المرأة ، فتحت الارض
فاطأ وابتلعت السيل الذي القاه الثنين من فيه » . (رؤيا ١٢ : ١٤-١٦) .



على نصوص مثل الذي ذكرنا شيد التقاليد المسيحي اعتقاده الراسخ بعقيدة
الحبل بالعذراء . دون دنس . وكان يوسعنا درس هذه النصوص درساً معمّخاً
ولكنه عمل عقيم في هذه الساعة من هذه السنة حيث يترك المسيحي جفاف
العالم والتسحيص ليتطلع بالحلب والشوق نحو ذلك الوجه الرائع ، وجه العذراء .

الحامل التعاري ، المظلّ الآن من شرفة الخلود على وادي الدمع ، وادي
البنين المنشدين من عربة المنفى وجه امهم الحبيب .

•

كانت مريم المخاوفة الاولى التي سبقت الى استحقاقات الفداء . وكما دفع
المسيح دماؤه ثمننا عنا ، دفع عنها ايضاً دماؤه ولم تكن بعد في الوجود ، حافظاً
اياها من وصمة الخطيئة . هي الاولى في لائحة الخلاص ولقد هتفت بذلك في
سكرة ذلك السلام الروحي الذي غمر نفسها : « تعظم نفسي الرب وتبتهج
روحي بالله خلصي ا » .

وهذا الاعتقاد بعقيدة الجبل بها دون دنس لم يصادف اجماع اللاهوتيين في الكنيسة
على ممر الاجيال . لقد اصطدموا بصعوبة قادتهم الى الخطاء . في فهم الحقيقة التي
اصبحت ميراثاً كان للكنيسة منه كنوز وكنوز ، لقد اعتقدوا ان العذراء لم تكن
بحاجة الى الفداء لانها عصمت من الخطيئة الاصلية وكيف تظل خليفة واحدة خارج
تأثير الفداء . وهذه الصعوبة ذلّلها الايمان المسيحي حين أعلن ان العذراء قد
فُديت من الخطيئة الاصلية قبل ان تولد . ولذلك فقد ولّبت معصومة بريئة .

•

مائة سنة مرت على اعلان العقيدة التي نعيد تذكارها اليوم . وكيف نرى
التذكّار المثوي ولا يكون عيداً من ابيه افراح السنين . لقد كان ذلك حدثاً ، لمئة
عام مضت . وانه حدث اليوم تتداعى الى لقائه اشواق القلوب المسيحية قاطبة من
كل بلد ودار . هي العذراء . تنادي بنينا فاذا بهم يتأهبون جماعات جماعات على
اقدامها وانظارهم ، وقد انقلبتا غيرة الشر والموت في العالم ، عالقة بذلك الحيا البهي ،
بتلك الام التي هدّمت امام بنينا اسوار الشر ، وحطمت مغاليت الموت . . .

من انظارها تكتسب انظارهم تلك الطهارة المحررة ، ومن روعة شبابها
الابددي يستمدون البطولة التي لا تشيخ ويصعدون جبل الحياة الى قمته ولا يخافون
صخوراً واشواكاً . وترافقهم من اعالي السماء عين الام الساهرة ، انها سلطنة
الامل وسلطنة البحر ! وانهم هم الراحلون في سفر بين احوال النور ، الشديد ،
يحدقون اليها ، الى تلك النجمة التي لا يفورها ضباب وغيوم ؛ انها قائدة مركب
الكنيسة الى شاطئ الطمانينة والسلام !

ذكرى مريم العذراء والحبل بها بلا دنس الخطيئة

للحوري ارسانوس الفاخوري ١)

قال مؤرخا في سيدة الانام مريم العذراء. وذلك حينما وفدت البشارة باثبات
براءتها من كل عيب ودنس منذ حبل بها بريئة من الخطيئة الاصلية وابرار
الحكم بكل ذلك ابرزه قداسة الجبر الاعظم السيد الذكر البابا بيوس التاسع
سنة ١٨٥٤ :

لا حَ بدرُ الحق والبطل انصرم وهلال الشك وراه العدم
واليقين اليوم اضحى كالعلم جالسا في العرش بالعرز رَقْل
حذد الجبر مقالا وانتهى مبحث عن مريم ذات البها
مثبتا للقول فيه إنها حُفظت من دنس منذ الحبل

١) الحوري ارسانوس الفاخوري الشاعر قاضي نضارى جبل لبنان في عهد الامير بشير
الكبير والامير حيدر السعي وعصر مجلس ادارة جبل لبنان عن الماراة نقلت في مناصب
عديدة دينية ومدنية وله تأليف شتى في النحر والشر والبيان وقد اشتهر في فن البديع فنظم
الربح بديعات ثلاث مطبوعة وواحدة لم تطبع وله غرامطيق سرياني شررا ونثررا وقد اطلع
بجرب السدة العذراء التي حبل بها بلا دنس ام الله البتول فله فيها الفصائد المتطورة والقطع
الموجزة ما يبلغ نحو ٨٠ قصيدة وقطعة ومنها هذه القصيدة التي نظمتها في اثبات العقيدة التي لا
ربب فيها وهي عقيدة الحبل بها بلا دنس وهذا الموشح اللذان نشرهما في هذه السنة المريية
الرافقة لثمة سنة خلت الواحدة لاثبات العقيدة المذكورة من قداسة البابا بيوس التاسع المثلث
الرحمات في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٥٤ والثانية اي الموشح في الموضوع عينه وفيها توارىخ
اثبات العقيدة المذكورة وذلك احياء لهذه الذكرى ولذكره ايضا .

ان قصائد المرحوم الحوري ارسانوس في السيدة العذراء الذي لا يضاهيه شاعر ما بهذا
الموضوع نقلها عن ديوان ورثته آل سليم الفاخوري وارسلوها مجلدة تجليدا مذهبا متقا الى
المكتبة المريية في رومية بشوان قداسة البابا بنديكطوس الخامس عشر المثلث الرحمات فمطف
واهدى اليهم صودته مع بركتته الرساوية والنفران الكامل عند الماوت ولا يزالون يحفظون
بالصورة المذكورة ذكرى مباركة .

خصها الله بكون أقدس
 وحباها فيض روح القدس
 وسمت طيرًا ببر أنفس
 لابنه أما دعاها من ازل
 وافق البشرى لإكرام البتول
 أنشط الالباب بل سر العقول
 ببروز الحكم من حبر جليل
 وكساها بهجة ما قد حصل
 فرحت قلب الكتيب المستهام
 وشذاها كم وكم أبرا ذكاهم
 من كؤوس وشراب الخندريس
 وغدت تحتال في در نفيس
 زالت الاتراح والغم عفا
 رقت الكلمات والأنس شفا
 زهرة غمراً قللت في العلا
 قمر السراء بالسعد علا
 مذبدا عيوقنا في السنبلة
 رنم المريح قول السبحانة
 صاح ذاك المشتري بالهيالة
 مذرأى السعد اعلى برج الحمل
 وسناها لغيوم قد جلا
 عقد نظم زانه در الغزل
 طيب الاشمام منا وزدها
 من حلاها ازدان اصحاب العطل
 ملك الوراد ريان وزدها
 حير العشاق طرا يزدها

عاشقوها في هواها كملوا
وبتاج من عفافٍ كللوا
فاقت الابدارَ ظرفاً وكمال
وتعالت ببهاء وجلال
يا عروسَ النشيدِ قومي كيلي
في علاها رنمي او هيلي
فهي عرش ملكٍ كرسى القديم
وهي تابوتٌ لمهدٍ والكليم
قسطُ من طور سيناء والعمام
فلكُ نوحِ برج داود الممام
قد غدت سلطنة زادت على
فجباها ربها هذا الولا
فضلها قد عم ابناء البشر
وبها نيل المني ثم الوطر
بسنها الخلق طراً أعجبا
وبها المورى العز حبا
يا بتولا قد انتنا بالسلام
يهواها قد شفيننا من سقام
فارمقي عبداً ذليلاً ورقيق
إنه في لجة الحزن غريق
ندماها من طلاها تملوا
وغا الايمان فيهم والامل
عات الاثمار نوراً وجمال
والدراري كلها جندٌ خول
عرس لبنان بمجد سربلي
بنشيد لا يحاكيه مثل
وهي ذاك الباب والطور العظيم
قد رأى شيئاً لها فوق الجبل
وعصا هارون ذياك الإمام
درة قد عم اجزائها البال
كل مخلوق يارض وعسلا
وسمت نجداً على كل الملل
وبها حازوا خلاصاً منتظر
ورضى مولى السلاطين الاجل
وسناها كل ذل قسبا
والسنى الواضح بالمجد اتصل
يوأتنا بالوفا أعلى مقام
ويرثنا من كلوم وشمل
قد دعا ضمن بكاء وشهيق
فانقذيه وأخصيه بالجلل

أنت أم الرحمة العظمى التي شأنها انقاذ من في ذلّة
طهرى قلبي ونقى مُقلتي وأزحميني وقت إقبال الأجل

وقال ، رحمه الله ، مؤرخاً سنة الاثبات كون الحبل بيدتنا مريم العذراء .
ربناً من دنس الخطيئة الاصلية . والتاريخ في البيتين الاخيرين من الايات
الآتية ويحويان ستة عشر ذريعاً وفي البيت الخامس تاريخ ناطق بسني السيد
المسيح ظاهر بدلائله عليها :

فبشارة الاثبات للحبل النقي م مريم العذراء سيّدو الملا^(١)
في أن ذا الحبل الشريف مطهر من كل عيب ثم عن دنس علا^(٢)
وبرية من وصمة^(٣) وخطيئة اصلية فالسر في هذا انجلي^(٤)
سرت قلوب المؤمنين بأسرهم وسرورها الا كوان طراً قد ملأ
سنة الثمان لماينة مع اربع الحق بها خمسين مع الف تلاً
بختامها بزغ السنى وله آيت م مؤرخاً مستتباً هذا الولا^(٥)
والنظم ذا التاريخ في البيتين من هذا النشيد هما الاخيران اجتلى^(٦)
في كل شطر منها هو كامل وكذا بهمل كل بيت يجتلى
وكذا بجمعه تراد كاملاً تكراره لذوي القرائح اذ هلا
وكذا كهمل كل شطر منها مع مهمل من اي شطر قد جلا

(١) الملا : الخلق .

(٢) علا : ترفع .

(٣) الوصمة : النقص والماز وانعيب .

(٤) انجلي : انكشف .

(٥) الولا : اصله اولاً ، خفف الحكة .

(٦) اجتلى : بمعنى عرض يجتلى يمرض ولم يذكر المعجم غير هذا المعنى . ومعنى نظر الى
التي . وغيرهما مما لا يوافق المقصود .

ان كان من اعلاه مع ادناه او بخلافه تاريخه فيه جلا
 وكمل ذلك مُعْجَمٌ بل كيفما قُلِبَتْه عدد التواريخ انجلي
 وبذلك يبدو سرُّه المخفي به وبه بيان سنى المعاني اكتملا
 خذها عرائس^(١) تنجلي مجموعها ست وعشر ضمن نظم اكلا
 نور السرور بأرضنا اكياً^(٢) جى بسرور حجير لاصب يقضي العلا
 كيس^(٣) المحصور بمريم برج القضا بسرير حكر قضا بها جبر دلا



(١) العرائس : جمع عروس .

(٢) اكياً : مصدر اكى يكي اي استوثق استيثاقاً . جى اجرى وجمع والضير عائد الى نور السرور . و اكياً مفعول به مقدم الحجير الغفل لاصب متسكن يقضي يتم الملا الرقة والشأن . والمعنى ان نور السرور بأرضنا جمع الاستيثاق سرور الغفل ملتصق به لانعام الرقة والشرف .

(٣) الكيس : الظرافة ، المحصور الذي يتجنب الغناء اختياراً ولا يتزوج ، الحكر اشد المعجب ، الخير الاحسان ..

عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

رحب العالم الكاثوليكي في الحافقين ترحيباً بنوياً عذبا جداً بالرسالة العامة التي أصدرها ابو المؤمنين العام البابا بيوس الثاني عشر بتاريخ ٨ ايلول ١٩٥٣ مملناً الاحتفال بمرور قرن كامل على ما قرره سالفه الخالد الاثر البابا بيوس التاسع تقريراً احتفالياً بشأن عقيدة الحبل بريم العذراء المقبولة دون دنس او عيب البتة .

ولقد طنح قلبي جبوراً وشكراً عندما أفننى الى مدير مجلة المشرق الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي الجليل لاكتب كلمة في هذا الصدد أنقلها عن تصانيف ائمة السريان ومشاهيرهم .

ولعمري اي قلب لا يستعذب ويستحلي تلك الصفة الجيلة الفريضة التي لم ين بها الرب السخي الا على العذراء الجزيلة قدماستها والفائقة طهارتها ونقاوتها منذ اللحظة الاولى لتكوينها في حشا والدتها القديسة حنة ؟

ويحق لكنيستنا السريانية خصوصاً ان تقتخر الافتخار كله لان اولي البنات الصادعات الساطعات التي ذبج بها الجبر الاعظم المالك سعيداً رسالته المزمناً اليها عن عصمة العذراء من الخطيئة الاصلية قد نقلها عن تصانيف اينذا مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الكاثوليكية وهي : « انك يا يسوع قد أحزنت انت وامك الباء كله . لانكما وحدكما متزهان عن كل عيب ! » .

ولعمري اذا كانت زيارة العذراء القديسة لسيبتها الشبايع قد قدست يوحنا جنينها وهو بعد في متودع أمه أف يكون مستغرباً وعجيباً ان تحبل بها أمها دون ضرر أو دنس ؟ حاشى والى سلاً !

على اننا في مقالنا هذا نغمض عن سرد جميع الصفات البديعة النادرة التي أطلقها آباؤنا السريان عن العذراء الطاهرة . ونقتصر عن ذكر ما حجبوا به تأليفهم من الصفات الشائعة المتروكة بمجملها النقي دون دنس اصلي ودون وصمة البتة . فقد صرحوا بانها عليها اللام تضارع ابنها القدوس بنقاوتها وقداستها .

وانها تفوق الكواريب والسراريف وجميع الاجناد العلوية بطهارتها . وانها
لؤلؤة يديعة لا درن فيها اصلاً . وهي هيكل طاهر نقي استقر فيه يسوع
ابنها رب القداسة . وتبوت العهد . وجزء جدعون وطائها . وعرش الاله
العلي . وام الحياة والخلص . وسماء ثانية حل فيها رب السموات يسوع
القداسة . وهي الماحقة لعنة آدم وحواء والديها والمعيدة اليها والى ذريتها حلة
البرارة الاولى النع النع .

بعد هذا التصريح الواضح الجلي رأينا ان ننقل عن السريانية ما اثبتته
مشاهير آبائنا في قصائدهم الرثانة الخالدة عن هذه الحقيقة الدينية الراهنة :

اولاً : الخيل بلا دنس ومار افرام الملقان الكبير (٣٧٣)

أنشد مار افرام في باكورة قصائده المشهورة بقصائد نصيين^(١) مخاطباً يسوع
فادينا عز شأنه : « انك انت وأملك وحدكما تسوان جداً وتفوقان الجميع .
اذ لا عيب فيك ولا شائبة في أملك » . وأردف : « نسجت مريم حلة المجد
ومسحت أبها الذي تفرى بين الاشجار . وسترت عريه . حواء . امرأته اسقطته
والعذراء . ابنته أنبخته فانتصب جذلاً محجوراً » . واستلى : « بك يا ربي وبأملك
اجتمعت الكمالات بأسرهما من كل وجوها . فلا عيب فيك ولا شائبة في
أملك ... لقد أحرزت يا يسوع انت ووالدتك البها . كله . لانكما وحدكما
مترهان عن كل وصية » .

وكتب في نشيد بشارة العذراء : « ان مريم هي حديقة الله العلي . وايس
فيها شجرة معرفة الخير والشر ولا حية تفرى وتطني ولا حواء . تهلك وتردي .
لاح المخلص من مريم واعاد المنفين الى السماء . »^(٢)

وكتب في وصفه انتقال العذراء الى السماء : « مرحباً بنفس نقية مقدسة
لم تلوث قط بخطيئة ؟ مرحباً بجسد نقي طاهر أعاد الحياة الى آدم ... ان

(١) هذه القصائد ثمرها الاستاذ غرسانف يكل الالامي عام ١٨٦٦ وصرح في المقدمة
ان اقوال مار افرام عن الخيل بلا دنس حملته ان يسجر البروتستانتية وينضم الى الكنيسة
الكاثوليكية عام ١٨٦٥ ثم ارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٦٧ وتوفي عام ١٩٠٦ بالنسبة
٦٨ سنة .

الروح القدس قد اعفى مريم من لعنة الامة الاولى لانها لم تفتح بابا للخطية^(١).
وانشد كذلك : « ان للعدوا الطاهرة ذنوباً من المحاسن الجميلة لا
ادري باي منها اقربها . فهي والدة الله وهي اعجوبة العجائب والسما الثانية .
وقد حملت حامل البرايا طراً باشارته^(٢) » .

وقد نقل اليونان والسريان الملكيون هذه الصبارة الذهبية عن مار افرام
وهي : « انك اكرم من الشاروبيم وأرفع سماً من جميع الطغيات الساوية » .
وأدجوها في انشودتهم الشهيرة « يوجب الاستقبال حقاً نقيط ... » وهم
يتغنمون بها بنعمت شتى^(٣) .

ثانياً - الجبل بلا دنس والقديس ريبولا مطران الرها (٤١٣-٤٣٥)

شُغف هذا القديس الجليل بحبة والدة الله العذراء المجيدة . وأبدى في
مراعيه وكتاباتهِ وانشيده مخامته خصوصاً عن أمومتها الالهية . وارتحل الى
قسطنطينية والقي في كنيستها الكبرى خطبة باللغة اليونانية مقتداً ومزيفاً
دعوى نسطور الملاحد . وراسل في هذا المعنى صديقه مار قرلس الاسكندري^(٤) .
ويكرم السريان الملكيون قدسكاه في ٩ ايلول^(٥) والسريان في ١٧ كانون الاول .
ونظم مار ريبولا انشيداً لطيفة بعنوان « **ماحقصا** » ابتهالات تُمدُّ
نغماتها الرخيصة من أعذب النغمات وأشجأها وأشدّها تأثيراً في الاقنعة . نثر في
تضاعيفها درراً نفيسة قدّمتها للعذراء الطاهرة . تتحلف منها ما له صلة بوضوعنا :
أنشد في الابتغال الاول :

« **يميك** الجسيم ابتها القديسة والدة الله مريم . يا كترأ شيناً ونبراساً لاماً يني .
المكونة كلها ... يا هيكل طاهراً نقياً لبارئ البرايا جماء ... لقد حيرني يا اخوتي
روح مريم الغائق البها ... فهي فتحت يذرع الملاص وغدت أسى وأرفع من الملائكة !
من تراه لا يحتمي بشكراك ابتها العذراء الطاهرة الغائقة القداسة ؟ ومن لا يكرم عيذك يا ام
الله ؟ انك أسى وأجسى من البها عيشاً ! » .

(١) فتحيث ٦ : ٤٠٦

(٢) الاشعج ١٣٧

(٣) المشرق ٣١ : ١٩٣٣ : ٨٨٤

(٤) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان ٢ : ٢٩٦-٢٩٠

(٥) كلندار الكنيسة الانطاكية (المشرق ٥ : ١٩٠٣ : ٦٨) .

وأشد في الابتهاال الثاني :

« عليك السلام يا مريم والدة الله الكلمة العلي . ايها المذراء الطهور الزديسة . عليك السلام يا سيدة ثانية لكلمة الآب الازلي انا استنادا الى الايمان الحق نعظم ام الله المفضة قداسة . ولكن اني يتاح للسان الترابي ان يستوفي مديحها وقد قصر الملاك عينه في نغربطها ؟ »

وترتم في الابتهاال الثالث :

« اصبحت يا مريم مدعاة الى خلاص جنسنا المؤمن . ومجلبة للخيرات والبركات ومجددة لتقنا . . . كيف ينير لنا ان نقرظك ايها العفيفة ؟ انك وحدك فريدة بالقداسة . ومنك نتدفق الميعات والبركات لجميع المؤمنين وطدي ايماننا وأنيري العالم كافة » .

وهتف في ابتهااله السادس :

« ان أملك ايها النقية الطاهرة يدهش الملائكة عنهم . لانتك ولدت وانت عذراء . ذين الله المساوي لوالده . وقد اتخذ جسدا من طهارتك ليتخذ آدم وذريته » .

وترتم في ابتهااله السابع :

« انحدر ابن الله الى مستودع بنت داود فرفع راس جنسنا الذي خففته مغالقة الوصية . هو الكريم الذي يحق من مريم بنت داود لسة حواء . وأتلد منها » .

أخيرا يحدثننا مار ريو لا المنبوط بنشيدته التالي البديع عن عواطف المذراء المفضة وقّة وعذوبة وروعة ومهابة فيقول :

« تسأل مريم قائلة : من مثلي عزيزة قديرة حملت رب الملوكة ؟ في صور الملهسون أجمع والانياء كافة اسرارهم وألغازهم وأشالهم . اني أسر من الملائكة وأقدس من أجبراق السوايف !! هذه هي ابنة داود . فيها نشأ نحر الحياة والخلص الذي آياه قسبح . ولوالده نغرظ جميعنا ! » (١) .

ثالثا - الجبل بلا دنس ومار اسحق الملفان (١٦٠) .

.. أزهو مار اسحق الملفان في القرن الخامس وكان رئيس دير كبير في ضواحي انطاكية . واشتهر في عهد المجمع الافسوسي ٤٣١ والمجمع الخلقيدوني ٤٥١ المسكونيين^١م ورد اسمه ما بين آباء المجمع الافسوسي^٢ . ونظم قصائد دقيقة محكمة^٣ فتدبها زعمي نسطور واوطيخا الملاحدين . وأيد بأبلغ عبارة

(١) كتاب الفرض العمومي ٢٧-١٣٧

(٢) مخطوطة دير الشريعة ٧-٤

(٣) نشرها عام ١٩٠٣ الاب بولس ييجان المذكور في الميعر .

وافصح لهجة ان في مخلص يسوع اقنوماً واحداً وحليتين .

وخأف مار اسحق خطباً سريانية نقلت الى اليونانية ومنها الى العربية .
ورجح الاب لويس شيخو اليسوعي الحالد الأتار ان ناقلها هو ابو الفضل الانطاكي
الملكي . فرأينا ان يقتصر منها على ما اثبتته الملفان القديس بشان الخبل
النقي بالمذرا . القديسة قال :

« استحققت السيدة المذرا . الشرف والبهاء . واحال وارفة بالكمال على طنات الملائكة . . .
اليوم يزي آدم جفنا بعم القديسة المباركة الخبيلة المجلة الطيبة الآدمية . ملكة السلالة
الانسية . الطاهرة النقية التي لم يوجد في الاجيال الناشئة اطهر منها جسداً ! القديسة التي لم
يوجد في البرايا العقلية اقدس منها نفساً !

« ان الخبيلة في النساء . نالت نعمة الله باصطفائه اياها ليتجدد منها ويتأنس من قداسة
دمائها . فلم يكن في الاوثين من يضاعي طهارتها . ولا صار في الاخرين من يشاكل قداستها .
ولن يصير ذلك قط ! .

« فنبادر اجمعين الى اكرام سيدتنا وسكنة طيبتنا مادحين جمال طهارتها . موقرين
دوام بتوليبتها . مكرمين سمو قداستها . يا فخر البنات ويا زينة الامهات . يا والدة لا
رجل لها . ويا بتولا حاملة لولدها . يا عجباً عجبت منه الملائكة والانبيا . والمرسلون .
ومجدته الملائكة الاقدسون !

« فاشفعي بنا يا من لا تُرد شفاعتها ولا تُخف طباحتها . القربية من اللاهوت الازلي والثابوت
المنصري . الثائفة الملوة على المراكب الشاروسية . العالية السر على الصفوف الساروفية . .
لكي نصل بشفاعتك عند انتقائنا الى المبر الدائم وانتتم في ملكوت السماوات والسكنى في
دار الحياة ١١٥ .

رابعا - الخبل بلا دس ومار يعقوب اسقف مروج (٥٥١ - ٥٢١)

نظم مار يعقوب اسقف مروج الملفان الكبير قصائد مستملحة جمّة في
تقريظ مناقب المذرا . الثائفة النادرة . نكتفي منها بخلاصة ما نثره من اللاك
اليتية في قصيدته البديعة بعنوان « تقريظ المذرا . الطوباوية والدة الله مريم » .
التقط منها آباء السريان الموارنة شذرات أدمجوها في « الاشجيه » اغني الصلوات
الاسبوعية^(١) وقس عليهم آباء السريان الكاثوليك والسريان الياقبة .

وغير خاف ان فريقاً من المستشرقين وغيرهم زعموا ان مار يعقوب لم يكن
ارثوذكسياً حقاً او بالاحرى كاثوليكياً محضاً . فتجردنا لتريف زعمهم ونشرنا

(١) المرق ١٧ : ١٩١٤ : ٢٧٥ - ٢٧٧

(٢) صفحة ١٧٣ و ٢٨١ و ٢٨٤ الخ .

في هذا العدد عام ١٩٤٦ كتابا دعمناه باصدع البراهين وأدمغ الحجاج . وكتب لنا رهط من الامة المدققين يحبذون ما أثبتناه وقرنناه . نحن بالذکر منهم البعثة الشهير الاب بولس پترس اليسوعي البولندي . اذ نشر في هذا العدد مقالاً مستوفى " .

بعد هذا الشرح الوجيز نعرّب نبذاً من القصيدة المنوّه بها قال :

« دعني المذراء الخزيبة القداسة لامدحها . فلتنقّ سمناً ولنصغّ الى خطابها النقي البهي
لثلا نلحقنا ملامة او حقارة . فهي السماء الثانية حلّ في مستودعها رب الاعالي ولاح منها
ليفسح غياض الظلام عن الاقطار . هي المباركة في النماء استأصت اللثة من الارض ووضعت
حدّاً للغوبة . هي المنيعة النقية المملّئة بحسن القداسة . يجزّ لساني عن استبام اوصافها . .
هي حواء ثانية ولدت الحياة للسوى ومزقت صكّ امها حواء وكفّرت عنه . مدت يدها
الى امها المائرة وانقضت من ورطة الحية الفتالة . هي ابنة سبخت حنة المعد ووتجت بها
اباها وتلافت عريه بين الشجر . هي مفصورة جية زاوية شادها الملك ودخلها وحلّ فيها ولم
تُفتح ابوابها بد ما غادرها . . . لا نظير لها اصلا بين المذارى والقديسات والقيسات ولا
بين النساء والوالدات والجاريات .

« اني امدح سريم متعجباً بمخاراً . لا ادري الى اي ذروة سامية ارتفعت ابنة البشر . فهل
اغدور ابن الله نكرماً وتفضلاً ام هي اعجبت فاصطفاها امّا له ؟ من الواضح الخلي ان ابن الله
العلي هبط الى الارض نكرماً فرحبته به سريم لان قداسها تفوق كل قداسة . نظر الى نواضها
وحلبها وتقاضها وحلّ فيها . ولما كان التواضع حدّ الكلال استأثراه العلي الخلول في المتضمين .
« اشتهر بالتواضع موسى وابراهيم وبيرحنا الممدان وغيرهم ممن ضارعهم . بيد انهم لم
يبلغوا اصلاً ما بلّته سريم بنواضها . وبرهاننا على ذلك انه لم يرتق احد الى ما ارتقت اليه
سريم . فلما شرعدت عذراء اظهر وأنت من سريم حلّ في تلك وعدل عن سريم . ولو وُحّدت
نفس اظهر وأقدس من نفس سريم لاصطفاها واهمل سريم . فقد نظر سبحانه السماء كائنه واتقى
منهن اجملهن وأقدسهن . . . اغدور من السماء وحلّ في العذراء المجيدة لانه لم يك لها نظير في
الدنيا . . . عذراء . وضيفة نقية طاهرة مترعة عن النفس استحققت ان تكون امه . . .

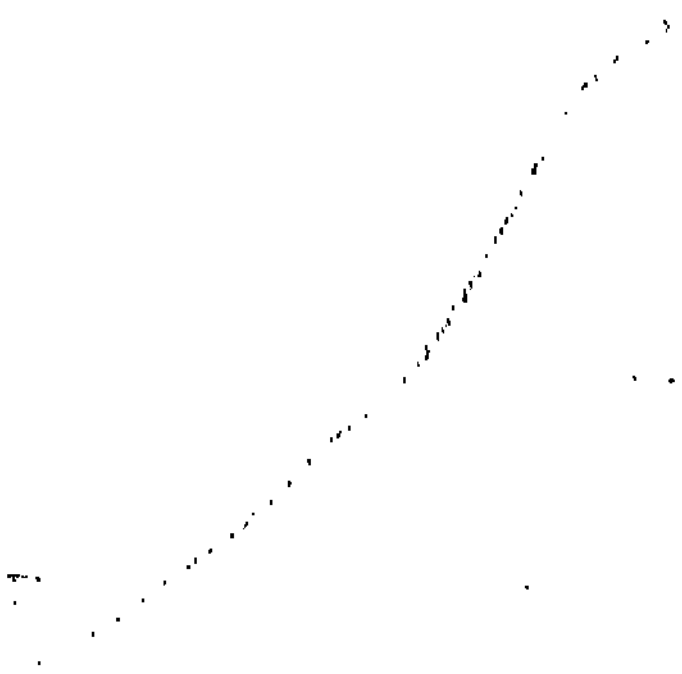
« رضي عزّ شأنه ان يستقرّ في هيكل فريد بقداسه وهو مستودع سريم الثلاثي بالتولية .
وعرف انها مقمة كلياً بتواطر مقدسة . ومزدانة بحسن طبيعة وارادية . ومترعة عن كل
درن ووصة . لاحت منذ الخيل بما دون شائبة . وسارت في طريق قروية دون جريرة
البقة . طبع تزيه . مزدان بجزال جميلة نقيّة . عذراء يحدها قدوسة بنفسها دائماً ابداً . . .
« عرفت انها صارت امّا لأن الله الازلي فآمنت ومدقت انها هي وحدها اظهر وأقدس
من كل من في الدنيا . شاء الآب القدوس ان يختار امّاً لابنه فترث زمناً حتى اصطنى فتاة
كلها بحسن خفية وجلية . فريدة ممتازة بقلب نقي لتدرك ما صح فيها من الاسرار . . .



البابا بيوس التاسع محدد عقيدة الحبل بلا دنس

ولد في ١٣ اذار ١٧٨٢ . تسلم العرش البابوي في ١٦ حزيران (١٨٤٦ - ١٨٧٨) . مدة ٣٢ سنة . وهي أطول حبرية في تاريخ الكنيسة .
حدد عقيدة الحبل بلا دنس في ٨ كانون الاول ١٨٥٤ . وايضاً العصمة البابوية في المجمع الفاتيكاني في ٨ كانون الاول ١٨٧٠ .
توفي في ٢ شباط سنة ١٨٧٨ بعد حياة هي سلسلة فضائل وجهاد واجهاد .
قبل دعوى تطويبه وثبितه البابا الطوباوي بيوس العاشر ١٩٠٤ .

1



2

فألقه عن وحن يثب احنال الاحتيازي وبشي على المشيئة الصالحة اذا أُرسته . وبعده العذراء التي افرستها قد اعجبته فامطافها املاته لانها تعزدت بتواضعها وطهارتها واستقامتها ومشيئتها الصالحة . فلو كانت نفسها مشوقة برصة او دنس لاصطلى دلا منها اما مترعة خالصة من كل شائبة . . .

هـ فعال مريم يذوق كل جمال على الاطلاق . ولم يظهر في الدنيا بأسرها جمال أبدع وأروع منه ! تنفذ مريم في متدوع املها من كل وصية مثلاً تنفى يوحنا المعمدان واليسع وابيشا ومالكيساداف المشاهير العظام .

د هـ عى عهد البؤس والشقاء الذي فلك بآدم واقبل عهد الصلاح . . . فدونا عن حواء التي سجلت اثماً بين الشجر وافت مريم ابنتها فكفرت عن ديونها وديون آدم . . . جددت مريم البيان الذي قوضه الحية . « وحيث كثرت الخطيئة هناك طغعت النعمة » (روم ٥ : ٢٠) لتجي آدم . ثم ان الحية لم تسلم على حواء لانها لم تقصد آلا النش والخذاع والزوايا والملاك . اما جبرائيل صغير ابن الله الذي فقد حاء مريم بشرى الفداء والخلص . حياها بالسلام وبلغها بشرى الخلاص والامان . . . وبقدروا استوحيت حواء اللوم بسبب صحتها بفقد ذلك استحققت مريم الشرف والثناء بحديثها مع الملاك . . .

وختم مار يعقوب الجليل قصيدته هذه البديعة بابيات اقتضبها من تصانيف مار افرام قال :

« تجلت لنا مريم مثل رسالة مخومة انطوت على اسرار الرب وغوامض . فجسدها الطاهر الذي يحياي قرطاً ناصع البياض دون فيه كلمة الله اسمه . على ان ابن الله هو الكلمة والعذراء هي الرسالة التي سجل فيها صك العفر والفران لجميع المذنبين . . . هنيئاً لها لان جمال قداسها يتوق كل جمال وقدرها منتشرة في كل الاصناف . طوبى لها لانها جددت ذرية آدم وانشأتها من سقمها . عليها السلام لان حدها لم يتدنس قطعاً وأصلاً . . . » (١٥٠)

ليست شعري اي عقل لا يقتنع ببرايم هذا القديس الملقان الزاهرة ؟ أم اي قلب لا يطرب بنفاته الساحرة وتمايمه المسجدية ؟ أم اي لسان يتيسر له ان يستل مثله في مديح جبل العذراء المعبودة المتزه عن كل وضر او دنس او شائبة ؟
خامساً - الجليل بلا دنس والصلوات القانونية الاسبوعية

انطوت الصلوات القانونية الاسبوعية على ملج لذيدة عذبة بشأن الجليل البري من الدنس فرأينا ان نعرب منها ما يلي :

١ - صلاة يوم الاثنين

« ان العذراء مريم هي حقل مبارك آيت فيه سنبلة الافراح . . . وهي لؤلؤة لا دون فيها عذبة في ناج الملك : ابنا توجهت لاح ساوفا وجاوها كالنفس » .

(١) نقل عن ملحق كتاب مار سهدونا . طبع الاب بولس سيجان ٦١٤ - ٦٢٩

٢ - يوم الاربعاء

١٠ مريم هي مقصورة الاقداس . انحدرك الملاك واستقر فيها . . . عيها . حذرة حمت الله الكلد . . . بشرى مريم اقبلت نعمة اما الاولى . . . وبنيت خنزرا بالبحر . . . ان ابنا العذراء . القديسة تضرع بر عروسة . . . في . فالموسى تضرع الى حشد النصارى واورشليم التي لم تحترق تضرع الى حشده .

٣ - يوم الاربعة

أرصدت الكنيسة السريانية يوم الاربعاء . للاحتفاء . بذكرى العذراء . المجيدة . ففي صلاة ذلك اليوم نقول :

« فليكن نذكر صلح في الاقطار الاربعة في الكنائس والادبار للعذراء مريم الطاهرة القانعة القداسة بتوليها . استجبتها ملك الملاك وانحدرك غاستقر في مستودعها . . . تبه العذراء . حجة جسية وبيا . لاح فيها شمس البرارة . . . هي مركبة خسية حملت حامل السموات والارض . . . المجد لاب اندوس الذي ارسل ابنه القدوس فانحدرك وحل بالقداسة في حشا . مريم الطهور الاقدس . . . حبنا للملك ايها المقصورة الحافظة بزيبتها . فيها رحبت بالجن . العلوي . حماني وانت بكر . ولدته ولبت طاهرة نفية . . . اصبحت مريم . . . ثانية ثوى فيها ابن الله القدوس بقداسة . . . تجسدت يا كلد . الله اخي . بمحبته من مريم المنبوذة المنردة بطهارة نفسها وقداسة جسدها . . . رحبت مريم بالمطر السامي وأغرقت باقة الافراح وأنشبت البرايا . »

٤ - يوم الخميس

تمت البرايا وتقول :

« السلام ملك ايها العذراء . والدة الله المفضة بحسان القداسة . ابتهلي الى اخك اليسع الكنائس والادبار اماناً وسلاماً برافقه وتفاعلك . . . السلام عليك يا احمال النساء المفضة بحسان . عليك السلام يا حنفاً مشهوراً على البرايا . عليك السلام ايها البرارة التي لم تنشوء بوضعة . »

٥ - يوم الجمعة

« لم يظن قط ما بين العذاري والنسبات في الاجيال بأمرها مثل مريم . وليس الذهب الابريزي ولا اي جمال كتناوخوا وجمالها . . . سفياً لك يا درة نفية لا وضر فيها ولا دنس . تاحد الملك غناك فانحدرك وتجد فيك نبيق آدم وذريته من عبودية الخطيئة . »

٦ - يوم السبت

« مثلك موسى بالموسى وداود اورك نبيته المهد . وجدعون بالجزة والطل . ويقوب بلم ارتقى فيه البشر الى السماء . . . في الحق . انك مشوى الله الذي لاح منك وكرم تذكرك وعظمه . . . اصبحت العذراء . باكورة ومنها تسلس الخلاص . . . سبحان الله السليم الذي

سبق فاصطفاك سد القديم ايتها العذراء، القديسة . والشكر يسوع ابنك الذي بنا . فانهذ
جداً منك . والتعجب للروح القدس الذي اتخذك هيكلًا وحلّ عليك . . . فيمكن
تذكر في الكنائس والديورة للعدرا، النقية سريم والدة الله المتفرّدة بظفارها وقداستها . . .
لاحت العذراء . من جديد . فيها امرشس البرارة واغا، المسكونة وعن ظلام الصلال .
نبارك الذي ولد منها وعزز نذكراها .

سادساً - الجبل بلا دنس وتماظيم العذراء .

المراد بالتماظيم تقاريط للعذراء، نسبة الى اللفظة الاولى من تسبحتها الشائعة :
« تعظم زنسي الرب وتهلل روحي بالله مخلي » يتلوها السريان كل يوم في
صلاة الليل . ويتغنّون بها في الاحاد والمواسم ليلاً وصباحاً . والى القارئ ١٠
نعرته عنها ١٤ ينوط بموضوعنا :

١ : انا نبجلك ونجديك ونكرمك يا والدة الله . لان مستودعك الطاهر
قد اتسع فحوى ابن الله الذي لا يتحصره حد . انك اسمى من اجواق السلايين
وأرفع من أجناد الكرويين الكثيري الاعين .

٢ : ان حاسنك السامية ايتها العذبة تذهل العقول وتدهش الابواب .
انك ام عذراء . بتول والدة الله . وعروس مزدانة بالمحاسن جماء . . . تحسار
العقول لدى تأملها مجدك وبياتك ايتها القديسة . وتكل الاسن عن وصف
مناقبك . فانت مقصورة حافلة بالزينة حل فيها يسوع الملك . وانت سفينة
منجتها كنز الحياة . . .

٣ : انا نبجلك يا والدة الله العذراء . يا نعية طاهرة مجبدها . واضحت
نفسها مخزن الاقداس . وحوى مستودعها باعجوبة باهرة الاله الذي لا حد له .

٤ : ينشد الاكليرس في النعمة السابعة : عليك السلام ايتها العذراء،
الظاهرة القديسة . يا لولوة لا درن ولا عيب فيها . . . قد حملت ابن الله الجبار
حامل البرايا . اياك تقبض القبائل جماء . . . حينئذ لك ايتها العروس الشريفة
يا والدة مانع النور . ابتغي لانك حملت في مستودعك من لا تسعه الخلائق
طراً . افرحي خصوصاً ايتها الكريمة لانك اسمى من الكرايب ا فاستأهلت
ان تحلي فادي النفوس .

٥ : وينشدون في النعمة الثامنة : انا نمدحك بنعمة حلوة واثنية
روحية يا ام الرب ملك الملوك الساري . لقد ولدت كلمة الآب باعجوبة باهرة

عوق العيون جميعاً . فاستبسى وارفع من جميع اجواق اليهوديين !
 احياناً يذبح الكاهن في جميع القدوس القانونية مساً . وصباحاً وفي الساعة
 السادسة استغفارية عمومية يصدرها بهذه الصفات الكرستية فيقول :
 « مؤدي الخدمة السامي المجيد الذي شرف نذكر والدته في الرب . والارض - وغدح
 مدبرة حلوة تلك المنحة الطوى اننا نذكر بعدها قبائل الارض القديمة المجددة المباركة الرقيقة
 الشان الدائمة البولية الموصلة والددة الله مريم » .

سابقاً - الجبل بلا دنس وبطاركة السريان الكاثوليك

١ - البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان (١٦٦٢ - ١٦٧٧)

هو اول بطريرك سرياني كاثوليكي جاهر بعقيدة الجبل بلا دنس ، ذلك ان
 الاب يوسف يسون اليسوعي لما عرش عليه هذه القضية في حلب صرح قائلاً :
 « اني اثبت ما عرضه علي الاب يوسف يسون اليسوعي في امر برادة العذراء مريم الكلية
 الطهارة من الخطيئة الاصلية . وأقر بأنه موافق للتعليم الارثوذكسي كما أعلنه كثيرون من
 الاباء الاقدمين ومن ملائكة الكنيسة السريانية » (١) .

٢ : البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة (١٧٨٢ - ١٨٠٠)

نُكِبَ هذا البطريرك المقبوط نكبات فظيعة فتأكل في اسناره الشاقة
 انقذته من غوائلها مريم العذراء القديرة . وكان يحمل صورته الكرستية المشقوقة
 على خشب ويستقيث بها في ملأته كآيا . ومنذ السنة ١٧٧٤ حتم على اولاد
 ابرشية حلب ان يحتفوا بميد الجبل بلا دنس . ثم نهى عن تقريب الذبيحة
 الالهية اي كاهن لا يسبق فيرتل في الصلاة الفرضية « تعظيمة » العذراء الجليلة (٢) .
 ولما وصل الى لبنان عام ١٧٨٤ شاد باسمها المبارك دير الشرفة تيمناً باسم العذراء
 « سيدة النجاة » .

٣ - البطريرك اغناطيوس انتون سمجيري (١٨٥٣ - ١٨٦٦)

في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٣ عند اساقفة السريان مجعاً في دير سيدة النجاة
 بالشرفة واصطفوا بالصوت الحي السيد يوليوس انتون سمجيري مطران ماردين
 بطريركاً انطاكيًا . فسألهم ان تقام حفلة تنصيبه في ٨ كانون الاول تيمناً

(١) الشرق ٧ : ١٩٠٦ : ٤٠٤

(٢) مغلوطة دير الشرفة ١٩ : ٢

بعيد الجبل الطاهر بسيدتنا مريم العذراء المعبودة . وكان قد بلغه صدى صوت إمام الاحبار البابا بيوس التاسع الطيب الأثر . ذنباً تلك الحقيقة الدينية محرراً اولاده الكاثوليك عرباً وشرقاً ان يقيموا في اثنا . السنة ١٨٥٤ حفلات يوبيلية تكريماً للعذراء البهيثة من الدنس استقطاراً لنعما وركلتها .

وفي حزيران السنة عينها ارتحل البطريرك الى عاصمة الكشركة وشحه ابو المؤمنين في ٢ تموز بالدور المقدس . وما صرح به البطريرك يومئذ لقداسة انه معول ان يونس كاتدرائية في ماردن مركز كسيه تيمناً باسم العذراء المتزهة عن كل وصمة ودنس . ابتجج الخبر الروماني الابتهاج كله وكتب رسائل توصية الى احبار فرنسة وبلجيكة وهولندة وزعمانيا ليساندا البطريرك الانطاكي في انجاز رغبته المقدسة . فرار البطريرك تلك المواسم وانتالت عليه الحسنات السخية والتحف الثينة وعاد الى رومية يؤذي حميم الشكر لحليفة شمعون الصفاة ومنها سافر الى ماردن ووضع اول حجر لبنيان الكاتدرائية المريمية ودشبا في ٥ آب ١٨٦٠ باجتماع منقطع النظير اذ كان جمهور المؤمنين يذرفون دموع البهجة والشكر لله عز وجل ولسلطانة الجبل بلا دنس ولبطريركهم المحبوب . ولم يكتف البطريرك بذلك بل سار الى الميثل وطسه وأسنى لاولاده المواصلة ٨٠ الف عرش ذهباً لتشييد كنيسة كبرى باسم « العذراء الطاهرة » واطاف الى ذلك المبلغ مبلغاً ثانياً لاجل انجازها وقس عليها كنيسة بغداد . واتصف هذا البطريرك الطيب الماثر بفطر غرامه بالعذراء فابتنى باسمها المبارك عدة كنائس . واعتاد في اواخر عمره ان يجتمع عشية كل يوم بايئاته البكينة ويتلو معهم السبحة الوردية . وانتقل الى راحة الابرار في ١٦ حزيران ١٨٦٤ وهو يهتف ذات المرات « يا عذراء ! يا عذراء ! » .

٦- البطريرك اغناطيوس افرايم رحمانى (١٨٩٨ - ١٩٢٩)

اغتم هذا البطريرك المعبود فرصة مرور نصف قرن على اعلان عقيدة الجبل بلا دنس فاقام في كنيسة بيروت عام ١٩٠٤ حفلات تقوية جميلة دعا اليها السادة الاساقفة الكاثوليك واكابرهم . وفوض الى رهبان منهم ان ينظروا بلغات شتى تقاريط للعذراء الطهور الجزيلة قداسها . فلبوا طلبه وانتهت الحفلات على اتم ما يرام من الرنق والانبية والحشوع . وختما البطريرك الجليل بوعظمة

رائعة عدد فيها من قب العذراء ولا سيما الجبل بها الممتدة عن كل عيب ودرن .
ثم اصدر مشوراً في هذا العدد اقتضب اغلب بيتاته من آباء السريان ولا سيما
من ابينا مزار افرام الملقب الكبير وبعث به الى جميع الابريشيات اللائذة بكريه
الانطاكي . واستنصع اثنتي عشرة بحجة ذهبية كلل بها تاج صورة العذراء
الكبرى في دير سيدة النجاة بالشرفة .

٥ - الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل نبوي (١٩٢٩ -)

نكب هذا الحبر الانطاكي المعبوط بتهمة فظيمة كادت تقضي على حياته
الشينة . ذلك انه صباح اول ايار ١٩١٨ قبض عليه في ماردن واستيق الى
المحكمة وصدر الامر بنفيه . وفي ١٧ حزيران غادر ماردن ابرشته وسافر
الى حلب مخفياً بالجند . وفي ٢٢ الشهر عينه استدعي الى دائرة الاستنطاق
فلم يثبت عليه المستنطق حجة فاعادوه الى السجن واتوى فيه حتى السبت ١٠
آب وهو يستغيث رب الرحمت وسيدة النجاة لينجو من تلك الغائلة الفتاكة .
ويوم الخميس ٥ ايلول استيق المطران المحبوب الى جبل سمعان وحشر في مغارة
ضيقة مستكرهة . وظل الاب يوسف رباني^١ الهمام يفرغ الجهود كلها في
تخفيف الشدة عن مطرانه الجليل ويود لو يفقديه بنفسه غير مبال بما يحق به
من اخطر . وفي ٢٩ ايلول استدعي تكراراً المطران جبرائيل البري الى
المجلس العربي ثم أعيد الى سجنه .

استيق المطران المحبوب بدنو الاجل بسبب استحكام الوهن في جسمه
وتفاقم عذابه فلم ير الا ان يجدد ثقته النبوية بالعذراء سيدة النجاة وام
اخلاص صباح اول تشرين الاول معتقداً الاعتقاد كله بانها تنقذه من تلك
الورطة في احد وردتها المباركة . وقد أنجته تلك العذراء القديرة الكريمة في
ذلك النهار عينه وسارع الى كنيستها في حلب وجثا يشكر للعناية الربانية عيم
فضلها ولله نداء الكريمة وفور جملها . وعند الماء حمل صورتها المقدسة وعاف
بها في الكنيسة بين اناشيد الاكليروس والمؤمنين .

على هذا الاسلوب أنبذت العذراء الطلوف ابنتها الوفي فنذر عربوناً لولائه

(١) ارتقى عام ١٩٢٩ الى الكرامة الاسقفية لبرعي ابرشية حمص وحماة وتوابعا .

وفاته لجبلها واحسانها ان ينشر عبادة ورديتها ويسببها شفيعة وحماية خصوصية للطائفة السريانية جمعاً . ثم اذاع عام ١٩٣٥ رسالة رعية بديعة استرسل فيها في وصف مطايعها النادرة ومزاياها الحلوة شفعها عام ١٩٥٠ برسالة ثانية في فرصة اعلان انتقالها بالنفس والجسد الى النعيم السهاري . وصيهم ان يعزّز دبرها في الشرفة بلبنان فاخذ منذ عام اول يونس بجانبه بناء فخماً ضخماً . وما برح العلة يشتغلون به . كفايته العذراء السخية باغزر البركات وأوفر النعم وأطول الاعمار .

٦ - السيد اقليس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩ - ١٨٩٠)

جاد المولى السخي على هذا الجبل النبيل بتوقد الفكر واتساع النظر وطول الباع في شتى العلوم واللغات . فصنف كتباً جمّة تعدّ من أثن الخرائد وأدقّ المواضيع . وتفرّغ مدة عشرة اعوام للنظر في كتب الغرض القانوني وتصحيحها وتنقيحها وضبطها بالشكل الكامل . وجعل منذ السنة ١٨٨٤ ينشرها بالطبع . ودبج المجلّد الاول الحصري بعبارات قانونية يتّسم بها الاكليرس في عيد الجبل النقي من الدنس صنف هو معظمه ونقل بعضه عن أئمة السريان واللاتين . فجاء فرضاً جميلاً بديعاً يستحقّ لاجله ثواباً وافراً من العذراء ام العفاف والطهر والقداسة وثناء جزيلاً متواصلًا من الاكليرس السرياني . تغتد الرب نفسه باغزر رحماته .

هذا ونخرب الصفع عن احصاء الكنائس التي أسسها آباؤنا المعبوطون في مختلف الارشيات تبركاً باسم والده الله المتزّهة عن كل وصحة . أقدمها كنيسة سيدة الانتقال في حاب وسيدة النجاة في دير الشرفة والجبل بلا دنس في ماردن والطاهرة في الموصل وكنيسة الجبل بلا دنس في بغداد . وقس عليها كنيسة البصرة وكنيسة دير الزور وكنيسة قطنة بدمشق وكنائس النبك وحماة وزيدل بابرشية حمص وسيدة بياي بالقاهرة والاسكندرونة والبشارة ببيروت والانتقال في الحسبة والتامشي الخ الخ . نضيف اليها كنيسة العذراء في كبر مارسير برومية العظمى وقد منّ بها على الطائفة السريانية البابا بندكتوس الخامس عشر الطيّب الآثار والمآثر . وكنيسة الانتقال التي جاد بها الآباء الفرنسيون الافاضل على السريان في طرابلس .

ويقيم السريان كل عام ١٢ موسماً للعدراء الجليظة : ١ : موسم الحبل بها
 بلا دنس . ٢ : ميلادها . ٣ : تقدمتها للميكل . ٤ : احد بشارتها .
 ٥ : عيد بشارتها . ٦ : زيارتها لاليشباع . ٧ : تهنيتها بيلاد المخلص وحدها .
 ٨ : تقدمتها ابنها في الميكل . ٩ : انتقالها الى السماء . ١٠ : استنجاح
 بركتها للزروع . ١١ . وكذلك للسابل . ١٢ : الكنيسة الاولى التي
 تأسست باسمها . ونبته القراء النجباء ان عيد انتقال العدراء يدعى كذلك
 « عيد الجفنة » . فالسريان يستغيثون بالعدراء في مواسم انتقالها ومباركتها
 الزروع والسابل مستنحين بركتها للقمح والغنم كي يُعَدَّ للبرشان والحمر في
 تقريب القداس الالهى .

الخاتمة

يحقّ إذن للكنيسة السريانية ان تجاهر على رؤوس الملائكة جميع أيتها
 العظام وملافتها الاعلام متهرجة بان قداسة العدراء والدة الله عز شأنه تظاهي
 قداسة ابنها يسوع قدوس القديسين . وقد جاد الرب السخي عليها بهذه النعمة
 المستأجرة منذ اللحظة الاولى لجأها في حشا امها حنة بأقدس قداسة وأكمل
 طهارة وأسمى نقاوة . فهي أقدس من السواريف وأرفع من الكواريب واكمل
 من جميع اجناد المبرين وكفى .

تلك زنبقة جنيها من دوسة الكنيسة السريانية وزفناها الى القراء
 الاحبة ليخضعوا شغفهم بالعدراء الطاهرة النقية من كل رجمة وينعشوا تقى
 بشفاعتها المقبولة .

وبلذ لنا ان ننهي المقال بعبارات لطيفة سديدة بختمها الاكليرس السرياني
 صلواته الالهية ماء وليلاً وصباحاً هذا تعريباً :

« نجس يا رب من الشدائد والاختار . وأنتدنا من النوائل والاهوال . . . بشفاعه
 وحماية ام الرحمة المتوشحة بالغيرة والاتصار . السماء الثانية . فخر المسيحيين الخفيين .
 العدراء المترعة عن كل وصة ودنس . القديسة والدة الله مريم » آمين .

عقيدة الحبل بلا دنس وأئمة السريان الارثوذكس

للغوري اسحق ارملة السرياني

من تصفح تصانيف أئمة السريان الارثوذكس وأنعم النظر في ما كتبه ونظمه عن سيدتنا العذراء مريم أم الله القدوس تجلّى له جزيل اعتبارهم لمناقبة الشريفة المتأدّة واستحلى استرسالهم في وصف مزاياها النادرة الوافرة . فتوخينا ان نلتقط منها مشذرات تدور حول موضوعنا اعني الحبل بها من امها القدسية حنة دون وحمّة او درن .

اولاً : أئمة السريان الارثوذكس

١ : البطريك سويرا (٥١٢-٥١٩ ÷ ٥٢٨)

هو اول بطريك انطاكي ناهض عقيدة المجمع الحلقيدوني المسكوني المقدس فعزله البابا اغابيط الروماني (٥٣٥-٥٣٦) وانطلق الى مصر وفيها توفي . وخلف هذا البطريك خطباً او مواعظ باللغة اليونانية نُقلت منذ القرن السابع الى السريانية . نذكر منها خطبته في تعداد مناقب العذراء الفريدة نقلاً عن مخطوطة لندن السريانية (رقم ٨١٩) هذا تعريبها :

« خطبة مار سويرا البطريك في تقريظ والدة الله سيم الدائمة بتولينها .
« اني لا اعترمت ان اقترظ والدة الله العذراء وأخذت النلم بين اناطلي لادون نمرقا واوسافنا شرعت بصوت الاعمي خفي برن في اذني ويقول : اياك ان تدنر من ههنا ! » .

ثم طفق الخطيب يستقصي مناقب العذراء الجزيلة قداستها واحفاً طيارتها وتواضعها وعفافها واصوامها وصلواتها المتواترة وقيامها وقعودها مع الفتيات حراحيها في الهيكل مورداً ما اشار اليه عنها الآباء والانبياء والملمهون ولاسيما عصمتها من كل شائبة .

٢ : يفرق الرهاوي (٢٠٨ ÷)

هو في طليعة ناظمي الصلوات القانونية . ومن منظوماته قصيدة ييجو بها نططور عذوّ العذراء المنبروطة ورد فيها ما تعريبه :

٢ : نسلد اسبر ازهم نى الشر مند حوا . غير ان العذر . حدث عبه وحطنته .
رحبت حوا . بدأ الموت فأنتحت الموت . اما مريم فاصت الى شارة الحياة فولدت احياء
والخلاص . في بيان عمرنا رحمة مريم بوساطة جبرائيل ملاك السلام واثرا الامان « ١ »

٣ : طيئاس مطران جبر (١١٠٩ - ١١٦٣)

نظم هذا المطران الجليل قصيدة افرامية في مديح انتقال العذراء المقبولة
الى السماء بنفسها وجدها . وهي من أنفاس القضايد وأجملها . منها نسخ شتى
يطالعها اخوتنا السريان . وقد نشرها برمتها الاب جبرائيل قرداحي الماروني
في « كثره الشين » (ص ١٤٥ - ١٥٩) تقتطف منها ما يلي :

« ان العذراء الفاتح سوها سوا السماء . قد دُفنت في الارض . . . وعوضاً عن احتفائها
يسرع ابنها قد احتفى السرايف بانتقالها . وبدلاً من مناعها يسرع طفلها ترنم جمهور
الملائكة بمدحها . . . ما من احد من الانام المختارين المشاهير احب الى يسوع ابنها او
اعز منها لديه ! غت في الابن وامه المساواة والمواقفة الكاملة . ساوى ابن الله نفسه وعادها
مع نفس امه مريم ! ليس في السماء او الارض أسى وارفع من مريم ! فاح من جدها الاقدس
عُرف الاهي استشفه الملائكة المحذقون جا اجواقاً وصفوقاً . واتمشوا بالاربيع الزكي
المأدب من جدها الاقدس !

« قدوس نيسوس الكبير الدير فاغي وصف انتقالها هذا العجيب المدهش وعنه أخذنا نحن .
باي عطوراً نكرم جدها النبي الطاهر ؟ وباي اناشيد نمدح الهيكل الذي ثوى فيه ابن الله
عز شأنه ؟ مع جسد العذراء المقدس انبثت اشنة وادوية شتى وأبرأت المرضى والسقام . .
تحفقت الامرار وصحت الاناز فيها وفي جدها المقدس . وأدرك الملائكة والبشر ما انما
ارفع وانقى من السماء . وطفنوا يترغون : مرحباً بك يا عرش الاله اللى ! يا
مركبة خلية ! فاذا كان لله السخي يكانى اصفياه مائة بدلاً من الواحد فما قولنا في
مكافاته لمدراء التي تفوقهم مجداً وقداً ؟ فلقد نفدت العذراء دوحهم بقداستها المصومة
عن كل وصة وشائبة . . . الا ايماناً للبشر ارضوا رؤوسكم مبهجين لان مريم بنت داود
استحقت لكم السماء !!! »

ثانياً : الاستغفاريات

يعد يوحنا الثالث بطريرك السريان الارثوذكس (٦٣١ - ٦٤٩) اول من
انشأ الابتهاالات الاستغفارية . ونسج على منواله رهنط صالح من البطارقة
والاساقفة ورؤساء الديورة والرهبان . وضمت تأليفهم هذه الى الصلوات

القانونية . وأحتجى منها ٣٦ مجلداً البطريرك انطونيوس برصوم المعبوط في لوزنه المشهور^(١) . « منها سبعة منسوخة على الرق منذ القرن العاشر حتى السادس عشر . هذا سوى ما تحويه الكتانيس السريانية وخزائن اوربا وأميركا ودير الشرفة ببلبنان وغيرها . وها نحن نقتضب منها ما يدور حول موضوعنا :

١ : استغارية عيد ميلاد العذراء في ٨ ايلول .

« تبارك الرب الذي أشرق من مستودع العذراء القديسة مريم . منها نشأ الخلاص للبشر طراً . وفيها ضح ما كتبه اشعيا النبي (٢٩ : ١١ و ١٢) وهو : « كأقوال كتاب مخطوم يناولونه لمن يعرف الكتابة قائلين : اقرأ هذا . فيقول : لا أستطيع لانه مخطوم . ثم يناول الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويُقال له : اقرأ هذا . فيقول : لا اعرف الكتابة » . ذلك لان هذا الكتاب مصونٌ ليسرع التقدير . مشيراً بذلك الى اصطفا مريم العذراء القديسة التي باركها الرب قبل ميلادها ! وأنذر بها الانبياء الملهمون فقالوا : ان النعمة الالهية سبقت فاصطفتها ...

« فيا ايها النساء جملةً احتفلن بهذا العيد الروحاني واحتن قائلات : اليوم حبل جننا على الفرح القديم . لان حواء ائمتنا انتجت لنا السقوط ومريم ائمتنا ونجت لنا السيل السوي الى الفردوس الذي طردتنا منه ... أهبنا يا ربنا ميلاد العذراء . مثلما أهبجت الملائكة ... ان جدها طاهر نقي متزه عن كل وصية ... هي السحابة الخفيفة التي ولدت المطر السهاري ورحضت وصية آدم ابها . ونصبت لذريتنا غرسة البتولية الاولى ... الحمد للرب الكريم الذي سبق فاصطفاك منذ الحبل بك وأحب ان تكو في أمنا له »^(٢) .

٢ : عيد بشارة العذراء .

« هو الاله المحتجب قدس بروحه القدوس مشوي مستودع العذراء القديسة المحيّد قبل الخداره العجيب اليها ! فحيّاها جبرائيل رئيس الملائكة قائلاً : « السلام اليك يا متلثة نعمة »^(٣) . إذن كانت العذراء مفعمة نعمة وقداة قبلما يبشّرها رئيس الملائكة .

(١) اللوز المشهور ١٠٠-١٠١

(٢) الصلوات القانونية ٦ : ٤٣٨ و ٤٤٠ و ٤٥٣

(٣) في ١ : ٨٦

٣ : احد وحي يوسف .

قال الملك ليوسف في حلم :

« لا يخافك رب يا يوسف بسبب مريم خطيتك . لان بتوليها مصونة ولا اثر فيها للذنس والفساد . . . خوفي لها وطوبى لنفسها لاجل اقدس من الكواريب ! فقال يوسف : اني اسجد لك يا سيدة جديدة تفوق السماء سراً وجلالاً » (١)

٤ : عيد ثمانية العذراء - ييلاذ ابنها يسوع .

« من تراه يستطيع ان يخضر اكاليل تباري جديرة بقداستك ؟ انك اسمى من السواريف وارفع من الكواريب ! فالسارافيم أخذ جرة بملقط من المذبح ولمس قم اشيا (٦ : ٦ و ٧) . اما انت فحملت الرب في مستودعك » .

٥ : تذكارات العذراء لتبارك السابل (١٥ ايار) .

« لقد اشرفت يا رب بحببتك الفياضة من سما . جلالك الرهيب واصطفت ارضاً جيدة نقية اغني مستودع ابنة داود الفريدة بطهارتها والسامية بقداستها ومنعت الخلاص للبشر » .

٦ : عيد انتقال العذراء الى السماء بنفها وجدها .

« ان الملائكة وصفوف رؤساء الملائكة وجماهير الكواريب والسواريف يترغون محبورين ربهتغون قائمين : مرحبا بك يا سماء ثانية وعرشاً الهياً سامياً ومنازة حافلة بصابيح نيرة !

« ترى من من البشر يستطيع ان ينسج حلة من التقاريط جديرة بقداستك يا ايتها العذراء الدائمة بتوليها والفريدة بقداستها ! اننا نمحتل بوسمك البهيح يا والدة الله احتفال الملائكة والوسل . انت جفنة ممتلئة عن كل وصية وعيب . . . » (٢)

ثالثاً : العذراء والدة الله في الشعر العامي

نظم فريث من السريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس عدة مدائح عامية في وصف محاسن العذراء الجذيلة قداسها^(٣) نقترن منها على ذكر احدهم

(١) فيه ١ : ٢٢٤

(٢) فيه ٦ : ٢٧٥ و ٢٨١

(٣) ثر الاب لويس شيخو الطيب الاثر بعض مدائح العذراء في الشعر العامي (الشرق

٧ : ١٦٠٤) فنهجتنا منهاجه .

اغفران شعبون الثوراني (١٧١٠-١٧٢٠) السرياني الارثوذكسي . فقد حلف
اشودة رقيقة مؤثرة ما رح اهالي ما بين النهرين يتغنون بها في الكنائس وفي
البيوت . وهو ينعت العذراء بكونها ام المعونة وكثرة الرحمة ووالدة الحياة
ونهر الخلاص وسفينة نوح وشفيعة الخطاة والوسيلة بين الله العلي والبشر الخ .
قال :

اما امدحك والدة الله أم المؤمنين حتى انال شفاعتك في يوم الدين
ففي عمري بقلي الاثام في كل حين ودنا الرحيل وانا غافل فبسن استعين *
من اطلب باب من أقصد أقرع واصبح الا بابك كثرة الرحمة أم المسيح
أصرخ وأنوح وابكي دافعاً ولا استريح حتى انال منك الشفاء لغاي الجريح *
ما من يصعب عليه عني في المخلوقات ما من يحمل غم هلاكي بالبيئات
عليك هي ألقى امي أم الحياة اطلبي لي غفران ذنبي قبل المات *
لاجل ذلك انا ملق بين يديك أدغب منك تتوسلين لحبيبيك
كي يرحمني وينقذني بشفاعتك ولا ينجيني من رجائي بموتك *
ارجو منك يا سفينة نوح الصديق مدي يدك وانثليتي من الفريق
اذ ليس لي سواك امي احد صديق يساعدي ويفرج غمي في وقت الضيق *
في حياتي اغفري لي كل ذلالي وسامعني بشفاعتك حين وفاتي
لدى الديان حامي عني يا نجاتي واستعني يا من يرض الوجه يا مولاتي *
هذه املي وكل رجائي طول الايام اسئلي واعصيني على السدوام
منك مريم والدة الله فخر الانام أرجو غفران كل الذنوب مع الآثام *
منك اندفق نهر الخلاص للعالمين ومنك صدر الرجا التام للتائبين
ردي عنا كبدا الاعبداء والظالمين ونرحمي على نفوس الراقدين *

ليت شعري هل يسرغ لاحد من اخوتنا السريان الارثوذكس الاغزاء وهم
يطالعون ما أثبتته آباؤهم وأجدادهم ان ينكروا على الله القدوس التقدير ان
يقدر نفس العذراء . وجسدا منذ اول دقيقة من الجبل بها من امها القدسية حنة ؟

الا فليكن ذكر صالح ومؤيد لاجبار رومية العظام خلفاء مار بطرس
رئيس الرسل الذين نادوا بهذه العقيدة الايمانية الراحنة . وتشروا رايها القوَّاح
الزكي في مشارق العالم الكاثوليكي ومغاريه !

مریم العذراء

لنبه صفر

حَوْلَ ابْتِسَاحِكَ بِالسَّاءِ صَدَحَتْ قِيَاثِيرُ السَّاءِ
 لَمَّا سَمَوْتَ إِلَى عُجَابِ الْمَجْدِ فِي دَهْشِ الْمَلَاءِ
 وَتَسَارَعَتْ أَجْنَادُهُ حُشْدًا إِلَى فَرْحِ اللَّقَاءِ
 وَزَهَتْ أَسَارِيرُ الْمَدَى وَتَنَازَلَتْ عُمُدُ الْفَضَاءِ
 وَشَدَا الشَّدَا وَتَقَنَّنَتْ رُغْمُ الْمَلَانِكِ فِي الْغَنَاءِ
 وَتَعَطَّرَتْ بِأَرِيحَ ذَاكَ الطُّهْرِ أَنْفَاسُ الْهَوَاءِ
 وَزَوَّتْ إِلَيْكَ مَوَاكِبُ الْأَجْيَالِ تَاهَجُ بِالْغَنَاءِ
 طَوِيلًا يَا صُبْحَ الْهُدَى الْأَزْهَى وَنُورَ الْأَنْبِيَاءِ
 أَنْتَ الْمُبَارَكَةُ الْمَلِيَّةُ نِعْمَةٌ بَيْنَ النَّبَاءِ
 إِشْرَاقُ بَجْدِكَ هَالَةٌ قَدَمَتْ وَتَاجُ مِنْ ضِيَاءِ
 يَا رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ يَا بَحْرَ الْحَبَّةِ وَالْجَدَاءِ
 وَبَيْدَ النَّدَى وَشَرِيكَةَ الْحَمَلِ الْمُبْجَلِ فِي الْفِدَاءِ
 أَحْيَيْتِ حَوَاءَ الْخَطِيئَةِ بِالْأَوْضَعِ وَالنَّقَاءِ
 وَاسْتَأَصَلْتَ تَاكَ الْجِرَابُ السَّبْعُ أَشْوَاكَ الْعِدَاءِ
 مِنْ صَبْغِ قَلْبِكَ بِالْأَسَى وَوَحِيدِ قَلْبِكَ بِالْإِمَاءِ
 مَا اسْتَرْجَمْتَ فَرَحَ الْخَلَاصِ نَفْسُنَا لَوْ لَمْ تَشَانِي

إِذْ قُلْتَ لِلْمَلَكِ الْمُبَشِّرِ بِالْأُمُومَةِ مِنْ عِلَادِ :
 أَنَا لَسْتُ يَا جَبْرِيلُ لِلنُّوْلِ يَسُوْى إِحْدَى الْإِمَاءِ
 أَنَا نَشُوَةٌ مِنْ طَاعَةِ لِلدَّرْمَدِي وَمِنْ وَفَاءِ
 سَيِّعَزُّ الْقُدُّوسُ نَذَرُ تَبَيُّلِي ، رَسَمَ اتِّتَابِي
 قُرْبَانَ إِجْلَالِ أَمُهُ حَرُّ التَّضَرُّعِ وَالذُّعَاءِ
 وَيَصُونَ نَفْسِي فِي الطَّهَارَةِ وَالنَّصَارَةِ
 مَا ذَرُّ فِي الْآفَاقِ نَجْمُ طَالِعُ أَوْ غَارَ ثَانِي .
 يَا أُمُّ قَادِينَا الْحَبِيبِ ضَعِيَّةَ الْحَبِّ الْبَرَاءِ
 صُوبُغِي لِعَالِمِنَا السَّلَامِ مِنَ التَّعَاُضِدِ وَالْإِخَاءِ
 حَفَّتْ بِعَرْشِكَ فِي نَعِيمِ الْخُلْدِ رَايَاتُ الرِّجَاءِ
 وَهَمَّتْ شَايِبُ الْكَرَامَةِ مِنْ بَنَائِكَ وَالْعَطَاءِ
 كَمْ شَامَ مُنْخَطِفُ سَنَائِكَ وَكَمْ دَوَى رُؤْيَاكَ رَائِي ،
 رُؤْيَا بَفِيضُ جَمَالِهَا وَهَجَا بِأَوْجِ الْإِرْتِقَاءِ ،
 كَالشَّمْسِ صَاعِدَةً عَلَى سُحْبِ التَّائُلُقِ وَالْجِهَادِ



عقيدة الحبل بلا دنس

في الكنيسة السريانية المارونية

بقلم الاب يوسف حيفة الراهب اللباني

نوطه

للمرحوم الاب يوسف حيفة احد ابناء رهبانيتنا اللبانية مباحث ودررس تاريخية قيمة في اللغة السريانية التي كان متطعماً منها ومولداً بها ، فأذى بذلك خدمة تذكر فتشكر . وقد انكب على جمع الشهادات الواردة في القرض الاسبوعي الماروني ، الصادرة ببراءة الطوبالوية ، مدير الحذور ، الكلية قد استها ، فترجمها من اللغة السريانية الى العربية ، اتينا على نشرها في مجلة المشرق الفراء ، المناسبة هذه السنة المريمية ، بعد مرور مئة سنة على تحديد هذه العقيدة التي اعترفت وجاهرت بها الكنيسة السريانية المارونية منذ اقدم ، كما هو ظاهر من تلك الشهادات التي انتقاها رحمه الله ، من ثلاثة مصادر : الشعر ، والنفيطين ، والتشخيص ، كما ستري . وقد اعدنا النظر فيها ، ونقننا ما نوجب تنقيحة ، معلقين على بعضها العواشي تيسيراً للقاعدة .

الاب بطرس ساره

اللباني

اولاً : في الشهادات المأخوذة عن كتاب القرض الماروني الاسبوعي (١) المعروف بالشجر (٢) .

أ جاء في صلاة العطر التي قبل باعوت القومة الأولى من ليل الاحد لوالدة الله هكذا :

سُحِّلَا حِلْمَا حِلْمَا حِلْمَا لَّا مَدْحًا مَدْحًا وَخُصَّحْدَحْمَا
وَصَحَّحْتُمْ حَمَلًا لَحْمًا لَحْمًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا

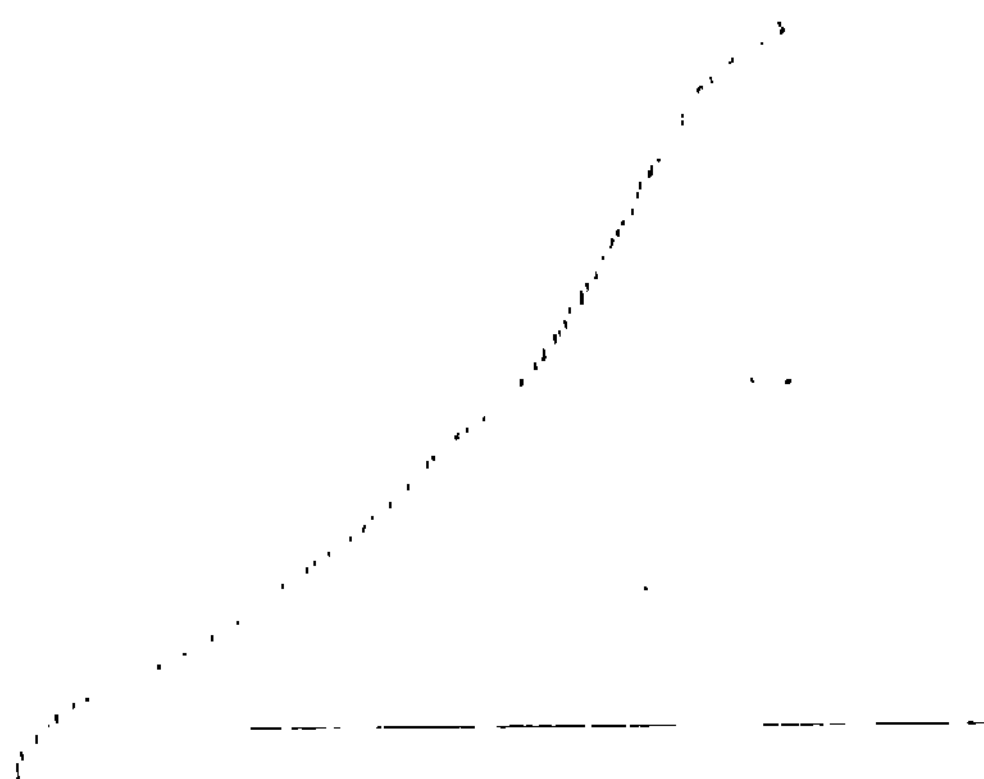
اي ايها العروس البتول « والام الغير المدونة » التي بسر ما حلت حارت
أما لله سيد الكل بنمته .

(١) - من مؤلفي القرض الاسبوعي القديس افرام النصيفي السرياني (٣٢٨-٣٧٠) . وبلاي احد تلامذته (٤٠٠) ، والقديس مروتا اسقف بيافرقين ، والقديس اسحق الكبير (٣٩٠-٤٦٠) ، والقديس يفرح السروجي (٤٥٢-٥٢١) وغيرهم من آباء الكنيسة السريانية الذين عاشوا في الاجيال الاولى .

(٢) - معناه « البسيط » دعي كذلك للقرآن من القرا كيب المغدة ولتبيز من صلوات الاعياد . والشهادات الواردة منها ما يثبت العقيدة بوضوح وجلال ، لا لبس فيه ، ومنها ما يشير الى ذلك نسيجاً وتلويحاً وفي كلها نجمة المرئاد .



تمثال العذراء.. خلقه ونحته الأستاذ يوسف الحويك بمناسبة المؤتمر العربي
في لبنان - وهو يمثل العذراء عروساً مشرقة آتية من لبنان



٢ وبعد حياية القومة الاولى من ليل الثلاثاء. جاء هذا بلحن وهم مع صلوات
مصلحتهم منكم دنيا وهم صلواتهم معوتهم صلواتهم
وصلواتهم اولا. مصلحتهم منكم دنيا مصلحتهم صلواتهم لا
صلواتهم. دنيا مصلحتهم دنيا مصلحتهم صلواتهم وصال
صلواتهم.

السلام عليك يا مريم بنت داود المداوة محاسن والمعين للوعب اسراراً
السلام عليك «ايتها المدينة المحصنة التي لم تلتط الخطيئة عليها» السلام عليك
يا مقصورة ملك الملوكة المريئة .

٣ وفي لحن نيل ختمهم من ليل الثلاثاء. يقال :
منكم دنيا وهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
وكلهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
ولا صلواتهم.

اي قد صار الرجا. بريم يلجس الاناث لانها «قد حررتهم من الحري اللاحق
برجوهم والمار العالق بأذهن فأضحى بغير لوم».

٤ وفي حياي القومة الاولى من ليل الخميس يُتلى :
منكم دنيا... وبصلواتهم... صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
وبصلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم
صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم صلواتهم.

ايا الرب الذي واضع ذاته وحل بالمستودع البتولي الذي سبق فتقدس
بالروح القدس اي مستودع امه الدمشة الاخلاق «والصبيّة اللاعيب فيها» مريم
القديسة والكلية المجد والدة الله حقاً وليس كزعم الضلالة (اي والدة الانسان
لا الاله^١) تلك التي تفوق الدباء. علاء وارتقاءً .

(١) اي بدعة فطرد القائل ان في المسيح اقنومين وان المذراء والدة الانسان لا الاله.

هـ وفي حساي القومة الاولى من ليل الجمعة وَرَدَ :

خمساً ... وثلثاً فمئة ألفاً ومئة حسنة
 ورحمة ... وحسنه وحسنه لا محالة
 عفا. ثم وجدته مائة ألف حسنة ومئة حسنة
 ومئة ومئة ألف حسنة ومئة حسنة
 الحمد لله وحسنه وحسنه.

ايها المسيح الذي لاجل خلاصنا واطأ علو عظمة المجد «وحلّ في حشا البتولة القديسة حارّلاً لا يوصف تلك التي تقدمت (فقطهرت نفساً وجسماً ، وتقدّست بفتح الروح القدس) وتجمّلت فوق الخلائق طراً بالكلمة الحي الذي تحم منها» .

٦ وفي آخر باعوت هذه القومة نقراً :

لَهُمْ فِيهِمْ وَلَهُمْ فِيهِمْ وَلَهُمْ فِيهِمْ .

الشكر للروح القدس الذي جعلها ممكنة للاهوتة¹¹.

٧ وفي الحاي^{١١} الاخير من هذه الصلاة ما يلي :

[illegible]

ونذكر بالاختصاص مع هؤلاء. وبعدهم من هي فخر المسكونة بأسرها تلك التي صارت «سما ثانية» والمتحقة الطوبى من جميع قبائل الأرض. اعني بها «البسوة اللاعيب قبا» القديسة والدة الله مريم.

٨ وفي باعوت^(١) القومة الاولى من ليل السبت هذا :

(١) بذلك دليل واضح على ان لا وجود ولا سكن للخطيئة حيث ممكن الالوهة، كما جرح بذلك القديس افرام . . .

(۳) صلاة الغنم .

(۳) طلبہ 'تضرع' .

حَنُوحَا وَتَمْلَا وَحَمْلَا وَأَوْحَا حَنُوحَا حَنُوحَا . قَلُوحَا
وَمَلَا حَنُوحَا حَمْلَا حَمْلَا . حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا . وَحَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا . حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا . حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا . حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا . حَمْلَا حَمْلَا وَحَمْلَا حَمْلَا

« يا مباركة انت في النساء التي بواسطتها استرسلت لعنة الارض وحكم
اللعة انتهى منها فصاعداً » . ابتها العفيفة الملوثة من محاسن القداة التي لا
يكفي في الحقي قدرها السامي وصفاً في المجد للاب الذي اختار مريم من بين
القبائل . والسجود للابن الذي اشرق منها بقداة . الشكر للروح القدس
الذي ملأها غنى وثروة وافرة . وعلينا المراحم بصلواتها دائماً .

٩ وفي الحساي الاخير من هذه الصلاة هذه الفقر :

حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
وَمَلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا

آمل كل هؤلاء المراحم ومجبة بشرتك وغفران خطاياهم بواسطة صلات
جميع قديسيك وخصوصاً بواسطة صلوات تلك المباركة « والغير المدبسة والطوباوية
والدة الله مريم » .

١٠ وبعد حاية قومة ليل الجمعة الاولى ورد هذا بلحن (وَحَمْلَا حَمْلَا) :
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا
حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا حَمْلَا

اي تاملوا يا جميع الشعوب والامم نزل المجد للاب الذي ارسل ابنه الى

مريم . وشكر الابن الذي اتلد من نقاوتها . ونسجد للروح الذي «حفظها بدون مشرة (الخطيئة)» وها هو ذا تذكراها يتبجل فوقاً وأسفل صلاتها .

ثانياً : في الشهادات الأخوذة من التحييدات المروقة بالغنقطين^(١)

١ جاء في سدر حاية صلاة المساء ليلاد العذراء باجن (افنمصلما) :
هلا حله (حسملمم) حنا اهلما مع صه صملا ودهما .
دهلما . سلا حطالما حله اهلما وحمهلا .
اي ولم يحرم الله يواكيم من رجا . طلبته «فجبلت حنة بالبرارة» بعد زمن المعرية .

٢ فنسلا . رجهلما (وململمم) ئسلا . حمصلا
بهملا . هسلا حلهلما وصلما . سلا حنم اهلما .
وطارت صلاة يواكيم باجنات الى السماء «فجبلت حنة حالاً بريم بنقاوة» .
٣ وفي اللحن الثاني من مساء عيد البشارة تنشد ما يلي بوزن حلهمهلا
وهمهلا :

حلهلما حنا ومع اوم . حهنا واهلما مهلا
صملا اهلما . حلا عتلا . دهلهلما واهلما
حنم . حهنا واهلما حنا . متلا متلا اهلما حنهلا .
نه حلهلما . مههه حده . هحنم اهنا . مدهلما .
اهلما عة دهلهلما . وهههه . حلهلما حلهلما
الجب ح سلا حلهلما وهههه حلهلما .

(١) الكتابين او المجلدين المروفين بالغنقيط الصيني والغنقيط الشوي طبعا في رومية الاول (١٦٥٦) والثاني (١٦٦٥) وفي كتابها صلوات فرسية نزل في اعياد المسيح والعذراء مريم وبعض القديسين . ومزلقو هذه الصلوات ، على رأي العلامة المظران يوسف الدبس ، هم من النساك والجباء الافاضل ، وفيها شيء من اقوال القديس افرام الدربية وغيره من الآباء مؤلفي الغرض الاسبوعي . نظم معظمها من القرن السابع غير متجاوزة ، على ما نرجح ، القرن الخامس عشر .

ان البتول الصبيّة التي أخذت من آدم ادخلت الموت على جميع القبائل
يوسوسة الحية لها . « اما البتول مريم فقد ادخلت الحياة الجديدة على البرية
ببشارة الملاك لها . « فذلك (حواء) تمرّت من مجدها في جنة عدن « ومريم
نسجت لها حبة المجد وسترت عريها « بحق صلواتها ايها المسيح الملك البسنا قوة
خفية لتعظيم والدتك .

٤ وفي السار نقول :

اَ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ

« ايها الاربعة من الكاروبيم والامجد من الساروفيم بلاط ملك الملوك
المتنفس » .

٥ وبعد الحساي تنشد البيعة بلحن حنّ مَدَحْ :

مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ

« طار الملاك وانحدر واعطى السلام لتلك (الثقية) التي اختيرت لتكون
خدراً لباريه تعالى » .

٦ وفي صلاة الليل تقول الكتيبة بلحن حنّ مَدَحْ :

مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ
مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ مَدَحْ

ملاك من العلا . وصبيّة من آل آدم التقيا وصنعا سلاماً واماناً ورضى .
وتقرا السياج المترسّط وارضا الآب الذي كان مغضباً على آدم وصالحاً بين
الطوبى والسفلىين وهما في مصف واحد يبتغون تقديسات ثلاثية قائلين مبارك

الذي زرع السلام في البرايا بسلامة . « قلت فلو كانت العذراء تحت غضب الله لما استطاعت ان ترضه تعالى عن آدم وبنه » .

٧ وفي آخر الصلاة يُزَلُّ بلعن ^٤ حُثْمًا ^{١١} :

وَمِنْهُمْ . هَلْ أَوَّلًا وَهَيْبٌ صَاحِبٌ وَتُسَمَّى حَلَاةَ اللَّهِ وَحَدِّثْنَا .
 قَالَ لَهَا الْمَلَكُ : « أَنْ جِئْتِ مَلُوءَةً قِدَاسَةً لِأَنَّهُ مَرْسُومٌ فِي اللَّاهُوتِ مِنْذُ
 الْقَدِيمِ وَالْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ عَزِيزٌ جَدًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُحَلَّ بِهِ » .

٨ وفي سرغيت^(١) صلاة الصبح تزعم البيعة قائلة :

١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

وكم هي ملاؤة مريم من المحاسن لمن يتأمل فيها بتفطن. وبما انه نظر الى
عظيم طهارة نفسها ونقاها ، شا. ان يحمل فيها . قد امتلكت مريم حاجاً
نقياً ونفساً مجة لله . فقيرة وملاك القيا وصنما أماناً . « ان الصبيّة مريم
والملاك لاشيا منا العداوة التي كانت بين الرب وآدم » . « وقد منحنا تعالى
جمال حواء قبل ما اخطأت . » ان الروح القدس قد اختار البتولة اوّل ثم حمل

(۱) اغیة .

(۳) انشودة ترجمه .

فيها كما حسن له . ان الله قد اعطى مريم ذخيرة البنين بالروح القدس اذ حل فيها . ان البتول المطلقة حباً وامانة وجدت شجرة (اي جملة عند الله . » وقد قدس تعالى جسدها كما كانت حواء اما من قبل ان تشتهي .

٩ في صدر " الحاية تقول بلحن اهنمصل :

حسوم وم وهمل مبعين . هومم سملا لله حن
« ان الروح القدس قدسها اولاً ثم حلت القرة فيها » .

١٠ وقالت ايضاً :

حسوم تقلا اناقصه ومعنا . حسم مع حوم .
وسلمه حن موممال هوممال هوممال .

« خاطب الآب الملاك جبرائيل قائلاً » قد تأملت في النساء جميعاً وجنت لدي أكثر منهن كافة لأنني رأيتها مستجعة للقداسة والتقاة والبتولية .

١١ وفي حاي ستار الميلاد تقول :

حوم . . . والاحل حسحا وهوم المصوم وحمل .
المسحم حسحا وهوم حوم وحمل . هوم مع حسحا
هوم حوم موممال . هومل مع حسحا وهوم موممال
تحمل .

لذلك الذي حبل به في الحذا . الذي اتقنه باختياره . وحبس في البطن الذي خلقه نقياً . « واشرق من الحزن الذي برأه مقدساً وولد من البتولة التي حفظها نقية » .

ثالثاً : في الشهادات المأخوذة عن كتاب الفشت^(١)

العدد الاول

بعض الشهادات الواردة في صلاة الوردية

١ جا . بلحن حسمل مومل حومل هذا :

(١) صدر الكلام .

(٢) منها « المدة » . وهو كتاب ضخيم يتوي عدة صلوات للبيدة العذراء وبعض

جنا انا حسمه صلاه . منم حسمه صلاه . صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه .

« قد برأ الآب بحكمته مريم البتول نقيه . ونظر الى تواضعها العجيب فشا . بها
بجبة . فارعب نفسه من المنح الالهية والنعمة المضاعفة وصنع بها العظام وزينها بفناءه . »

٢ وفي لحن حديسه ويرد .

صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه .

« اذ شا . باري العوالم ان يخلق خليفة تليق بعظمته شا . بتحنه وخلق
مريم بنت داود فكانت خاتمة عبايه الحنية . »

٣ صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه .

« راغنى نفسها الكلية التقاوة بنفى النعمة وبالفضائل السامية ولكنها تتج
الروح الالهية ورفع مقامها فوق كل البرايا . »

٤ صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه
صلاه صلاه . صلاه صلاه . صلاه صلاه .

القديسين ، وهو غنارط لم يظهر بالطبع حتى الآن . والاظهر ان مؤلفي هذه الصلوات
كثيرون يرتقي عندهم الى اكثر من قرن فصاعداً . لان بعضها من قلم العلامة الدويهي
(١٧٠٤) والبشريرك يوسف اسطفان (١٧٩٣) ومن قلم ابن اخيه المطران يوسف
اسطفان (١٨٢٣) . ومنها الاخر من قلم المطران جرمانوس فريجات (١٧٣٢) . وينسب
بعضها الى المطران عياد قراعلي (١٧٤٢) مؤسس الرهبانية اللبنانية . والى النس عبدالمسيح
الخلي (١٧٤٢) . ومن طالع هذه الصلوات رأى تقي القاظا ورشيق عياراغا واسمي سانبا
فحك بأن مؤلفها علا . اعلام وكلهم حجة دامتة . وسأقي ، ان شا . الله ، في جزء آخر ،
على درس تلاميذي قيس في هذه الصلوات ومؤلفيها .

١٤ قسما حنجالا و١٥ حنجالا حنجالا .
 ١٥ حنجالا حنجالا اسمها . حنجالا وحنجالا .
 حنجالا حنجالا .

انه لا يوجد في الارض مثل للبترول ابداً . ولا بالهلا يوجد قرن لوالدة
 الله . لانها مرتفعة بالصقوف النارية «ومباركة بين نساء العالم» لانها ولدت
 باعجوبة الاله انساناً .

١ وفي صلاة الساعة الثالثة يلحن هذا وتُسبح :

حنجالا حنجالا .
 ١٥ حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .
 حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .

ان الروح القدس قد ابان في نشيد الاناشيد «عن الجبل بك بلا دنس ما»
 فقال «كأسوسنة بين الشوك» كذلك قريني الجيلة بين البنات اللاوي
 سقطن في الاثم .

١٠ الله وحسوت حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .
 حنجالا . حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .
 حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .

ان الله بجرة قلبه اختارها منذ القديم «ورفعها على الملائكة وملأ نفسها
 نعمة ومحاسن مبجلة» كما قال الروح القدس في سفر الامثال العجيبة .

العدد الثاني

الشهادات الواردة في صلاة شرف العذراء من كتاب القشت

١ جاء في القاشحة هكذا :

حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .
 حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .
 حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا حنجالا .

حَمَمْنَا مَمْنًا . حَلَّ لَحْصَمِيهِ . وَتَهَسَّلَا . هَلْجَبْنَا مَع
 حَلَّ زَهْرُحَا . وَبَعْمَا هَمَمْنَا وَحَمَلَا .

قد ظهر فورك ايها القديسة مريم للروح القدس المحيي الذي رفعك فوقنا
 واسفل بالشرف الالهي وزينك بالجمال المبجل وأعلاك على المراتب الروحية
 « وحفظك من كل دنس النفس والجسد » .

١١ بِهِوَ لَاحَا مَبْمَمَا . وَتَسْقَصْ مَع حَلَّ حَلَّةَلَا .
 هَبِيهِوَ حَمَمَمَمَا . وَبَدَحْ مَدَحْ حَمَمَمَا . هَبِيَمَا حَمَمَمَا
 وَهَمَمَمَا . وَحَحَمَمَمَا حَلَّ حَمَمَمَمَا . هَلَّسَمَمَمَا حَمَمَمَا
 مَمَمَمَا . وَالْمَلَمَمَمَمَا حَلَّ حَمَمَمَمَمَا .

نشكر الآب القدوس الذي احبك من بين جمع البتولات وتبجل الابن
 الذي ولد منك بنقاوة ونكرم الروح القدس الذي خلقك عروساً مزينة « وشرفك
 على جنس الاناث اللاوي تاطفن بالادناس » .

١٢ وَفِي صَلَاة الصَّحْب بَلَحْن هَمَلَا حَمَمَمَمَمَمَا وَرَدَمَمَا
 مَمَمَمَمَمَا وَحَمَلَا أَدَمَمَمَا حَمَمَمَا وَالْمَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَا وَهَمَمَمَمَمَا .
 هَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَا وَهَمَمَمَمَمَمَا وَحَمَلَا حَمَمَمَمَمَمَا لَّا لَمَمَمَمَمَمَمَا
 حَمَمَمَمَمَمَا هَمَمَمَمَمَمَمَا مَمَمَمَمَمَمَمَا لَمَمَمَمَمَمَمَا مَع مَمَمَمَمَمَمَمَا نَمَمَمَمَمَمَا .

ان ملائكة البيعة الحقيقيين الذين تكلموا بالروح القدس انتبوا لنا ان « ربح
 ابنة حنة لم تدنس بالخطية » وقد انجلي هذا الرأي من تعليمهم الشريف .

١٣ مَمَمَمَمَمَمَمَا هَمَمَمَمَمَمَمَمَا وَهَمَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَمَا
 مَمَمَمَمَمَمَمَمَا مَمَمَمَمَمَمَمَا . مَع مَمَمَمَمَمَمَا مَمَمَمَمَمَمَا وَحَمَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَمَا
 أَوَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَمَمَا هَمَمَمَمَمَمَمَمَا مَع مَمَمَمَمَمَمَمَا وَنَمَمَمَمَمَمَمَا حَمَمَمَمَمَمَمَا مَمَمَمَمَمَمَمَا
 أَمَمَمَمَمَمَمَا .

ان القديس ايرونيوس بحث الفكر السج « وبين براءة القديسة مريم من

ان سكيتوس الرابع ويوس الخامس العظيم وسائر الاحبار واغوستينوس
قد اثبتوا لنا جميعهم « ان جبل سنة البارة بريم هو طاهر ويري. من كل دنس.

١٨ مُسْتَحَبٌّ لَكَ لَدُنَّكَ مَا وَضَعْنَا لَكَ وَحَدَّثْنَا بِكَ
وَلَا يَكُنْ لَكَ فِي الْحَبِّ وَحَدَّثْنَا بِكَ وَحَدَّثْنَا بِكَ
سَلَامًا وَسَلَامًا وَحَدَّثْنَا بِكَ وَحَدَّثْنَا بِكَ.

« حاشا المخلص ان يترك تلك القييدة ان تكون امه وتحمل عظمته ،
تسلط على نفسها النقة خطيئة حواء ، التي عنت القبايل .

۱۹. سید کے حاکم حُفَا و مہمما و بھجہ دیوہا
دیگامر حستہا . یجا کے جُٹا اُ مہا مہنا و مہا
مہا لایہ ا مہسہ .

« حاشا الاله البرّ اصل القداسة ان يسكن خدراً مدفناً باحشايا ». انما
يختاره انا، نقياً وحملاً بلسى لاكرام محبه .

۲۰. منہم والیہذا مع حلالا عنہما ومع حہرؤا وحک
 قہمہا. اقبض حسبہ وبہا حہ بقہا وقل
 حہمہا وہسہ واہوت بہتلف.

« يا مريم التي المحفوظة من الخطيئة الاصابة ومن دنس تجاوز الوضعية » ابتلي الى وحدك لتكون له اخذاراً نقية بنسة روحه الذي عظم شرفك .

٢١ رَفِي لَحْنٌ يُؤْمَلُ حَبَالًا جَاءَ :
 مَعَهُ وَهُوَ قُلٌّ اِوْحِي وَحِيًّا لَاحِيًا . فَعَمِمَ وَمَا وَفَّقَهُنَّهَا وَصَفَّيْنَاهَا وَالْمَوْقَا
 مَاصِيَةً سَتَلًا وَصَدَمَ وَوَحِيًّا حَفَنًا فَعَمِمَ وَمَا
 وَحَمَلًا حَمَمُومًا .

كما ان يهوديت تزينت بالصوم والاعتصام وارضت الله قطعت رأس قائد جيش الاثوريين فانشدّه بذلك الناصرون « هكذا مريم التي ارضت الرب قطعت رأس الشرير فور وجودها » .

٢٢ الله جعلنا اهل هذا البيت اجمعين من هذه مع
 جعلنا من هذا. حرمنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 حرمنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا.

ان الله الكل ضاعف نعمه لمريم « وحفظها من كل اثم اختياري بعنايته »
 الخاصة التي قوت حواس نفسها وجسدها وابعدت عنها الاعداء بواسطة الملائكة
 القاطنين في الملكوت .

٢٣ جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا.

يا بيعة القدس المزمعة يا من بواسطة ملائكتك الالهيين اثبتت لمحبك « حقيقة
 براءة مريم النقية من الخطية الاصلية » والاثم الاختياري ابتلي مع مريم الى
 الاله لكي نحمي امامه حياة مقدسة .

٢٤ جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا.

« ايها البتول مريم التي حفظت سبك في حشا امك من الدنس » الاصل
 « وحفظت في العالم من كل نقص واثم اختياري » تضرعي اليه ليحفظ ذنوبنا
 الارادية واللا ارادية .

٢٥ وفي حين هذا ونسبح هذا :

جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا من هذا. جعلنا
 جعلنا من هذا.

« دخلت الهيكل مريم الغير المتحاجة للتطهير لانها اطهر من الشمس واشرف من الملائكة » وانما دخلت لتكمل ناموس الرب الذي « اختارها » ولكي تتم الالغاز الملقزة فيها .

٢٦ وفي الروايت يقول هكذا :

لَا لِمَا وَجَبْنَا حَقَّقَهُمْ مَحْصِيَهُمْ وَحَمَلًا مَحْصِيًا
وَمِنْ حَمَلِهِمْ .

« اي : ان البتول مريم لم تربط ابداً برباطات الاثم الاول والشهوة » .

٢٧ وفي الحايه تنشد البيعة .

لَحْزَهُ مَدَا وَجَّجَا حَقْنَم مَحْصِيًا مَحْصِيًا بِمَحْصِيَةٍ
مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ
مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ مَحْصِيَةٍ

لذلك السيد الذي اختار مريم الوضيعة وتأنس منها ورفعها بأشرف لأجل تواضعها . « وبجلها فوق الخلائق الحسية والروحية » .

العدد الثالث

الشهادات الواردة في صلاة عيد الجبل بلا دنس من القسوس

١ جاء في فاتحة صلاة السابا هذه النقرة الدرية :

حَمَلًا ... وَحَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا
حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا
حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا
وَحَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا حَمَلًا

اي : ايها الرب الاله الذي بترتك جعلت مستودع حنة العاقر والمقيم محباً بالبنين « فحملت بالبتول مريم بدون الخطيئة الاصلية التي استولت على آدم » لانه تجاوز امرك الالهي .

٢ وفي الصلاة الثانية وردت هذه .

مجدد الكمال ... حبلنا معك في كل وقت
 سلا دليلاً دعنا من عبادة صلاتنا مع ملائكتنا حفاة
 الابنة اسمع صلواتنا بهذا اليوم المقدس الذي به حملت حنة « بريم القديسة
 بنير خطية اصلية » .

٣ وفي الاذن الاول فمصلحاً ما يلي :

حتمت وهما مصلحتا والكل اصبحت اية . مصلحتنا
 والكل اصبحت وهما وقتها وصلى . صلا اومح وبهم
 حبلنا صلاتنا وملا . وحنا مصلحتنا رجلا مصلحتنا
 مع حنا صلا .

اذا كان الله تعالى جعل الملائكة خداماً للالهوت ورتب طبعم فكم
 يجب ان نؤمن بالبقولة سيدتهم التي ابدعها وجعلها اكثر منهم جميعهم .

؛ حبلنا معك في كل وقت
 اومح حبلنا معك في كل وقت . صلا مصلحتنا
 انحنى صلاتنا ورجعنا . هُنا حنا مصلحتنا حبلنا
 مصلحتنا حنا مصلحتنا ..

ان الله تعالى في العهد القديم قدس ارميا النبي كوفي العيد الجديد برز يوحنا
 قاصده فكم اذن قد امرغ غنى عظمت بريم امه ونظر اليها بحسن قلبه
 « وملا نفسها بنمته » .

٥ . انحنى وحنا لا مصلحتنا مصلحتنا لام ورجع . مع
 حنا مصلحتنا : حنا مصلحتنا حنا مصلحتنا . هل انحنى مصلحتنا
 مصلحتنا لا لا مصلحتنا مصلحتنا . حنا مصلحتنا مصلحتنا مصلحتنا
 حنا مصلحتنا مصلحتنا مصلحتنا .

« ان قلنا ان الباربي تعالى لا يقدر ان يعصم أم ربنا من الاثم والسفطة (الاولى) نكفر بقدرته . وان قلنا انه قادر على ذلك لكنه تعالى لم يشأ نكذب لانه قد ملاها بنعمته بحسن لبيده وللخلاصا » .

٦ سبوع فامهنا وحنم حنم موصي حنم
حنم موصي حنم موصي وحنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي وحنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي وحنم موصي حنم موصي

قد ابان ماري يوحنا في جلانيه^١ بهاء مريم فقال انها متشعة بشمس الحق والقر تحت انحصا وان التين ذا الرؤوس السبعة لم يستطع ان يضرها لان « الرب قواها حتى لا يكون للتين استيلا . على امه » (فكان هذا التين خزاها الله :

كناطح صخرة يومئذ ليومها فلم يضرها واومى قرنه الرعل

٧ دهنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
وبين حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي

بامر الرب صنع موسى ثبوتا من خشب لا ينخر ليسكن فيه الله خلاص الشعب المفرد « ومريم هي ثبوت الرب الذي لم يفسد بالاثم لانه تعالى ابنا اختارها منذ الازل ثم حل في مستودعها الطاهر » .

٨ حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي
حنم موصي حنم موصي حنم موصي حنم موصي

« ترى اي فاقد اللب يفكر بان سيد الاطهار الذي طهر خدامه مجانا حتى

(١) رؤيا ١٢ : ١-٢ .

(٢) من امها . الله تعالى عند العبرانيين .

الليصوص المردة قد ترك امه (نحت تبعة الحطينة) وهي المحبوبة اكثر
من الملازمة العلوين . اذن فلنؤمن بدون شك انه زينبا بالمعاسن
المرمدة » .

١ لا المسحوق قفلاً مع مثله وبعه له قبل وابعنه وبعه
بعه او بعه وحبس مدته وبعه قبل : قفلاً وبعه
ممنوع وابعنه من قبل او بعد . وحبس مع حبسه قبل .
وحبس وبعه وبعه وبعه .

لم تنفس السفينة من مياه الطوفان لان نوحاً البار احبكم صهما لاجل النجاة . « وهكذا لم تنفس سفينة الحق مريم التي بناها الرب متقن البرايا ورفعها على جميع الابرار وبعدها ملجأ وملاذاً » .

١٠ وفي المرمأة تقبل السعة :

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ اَلْمُرْسَلِ ۝ حَلَا
وَمِنْ سَمَاءٍ مِّنْجَلٍّ وَخَلِّصْهُ مِنَ الْهَبِّ ۝ اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ

« ايها النقية التي تكونت في حشا امها حنة بدون خطية وكسرفت فوطنت راس الحية الحبيثة التي اذات جناها ».

١١ وفي اللجن الثاني معه اوتعل تقول هذا :

دفعاً وحقاً واور جب مدحتی مدحاً است مدحاً .
 انا و مع اننا منظر جوده كننا و حكاية جملة
 و انا حكاية و انا مدحاً .

ان انفس بني آدم تخلق مربوطة . مذلولة « انا ، تقول مريم » فقد برأتني ،
الباري بحمده » وزينني بالحسن وقال لي : ها اذك جيلة .

١٢ هذا ما أحسنه أبجد: حب صعدك أو فكك. اس
معك أحسنه حقا. عطا، راقا إلى الجفة، وقبة قلعه ومن
عنه معززا مع كك مدمر أو مدمر أحلا

« اذ برأ سريم القية مجبولاً بها بجشا حنة من غير الخطيئة الاصلية ولم يدع يد الحية الحبيثة ان تمسها بل قال لها اني اجعل الدواة بينك وبين الامراة وبين نسلك ونسائها وهي تسحق رأسك وانت ترصدن عقبها » . ولم يستطع الشين الكثير الرؤوس ان يدنو من مويمة التة .

۱۷ ثم تقول هكذا :

وَبَايَ وَجَدَ الْاَهْلَ الْاَمْلَكُ وَجَدَ اَبْنُ اَوَّلَ اَمْلَا
مَدَا: وَجَدَ قَوْمًا وَمَدَا لَابِيه. مَدَا مَحْ اَهْلَا
الْمَدَا حَبَا اَحْوَا مَدَا لَمَدَا مَدَا حَبَا حَبَا مَدَا.

« هذه التي مائت استير الملكة التي قال لها الملك ارحمنا ان شريعتي ليست عليك^(١). بل قد فاقنا استير فضلاً لان الله ملاها نعماً وزينها بالفضائل ».

۱۸ وفی الحن ص ۵۵۵ تار :

« اي : وءتم نفس مريم من كل حاجس. خذي ومن الآلام الموقوتة ».

١٩ وفي المراماة تقول :

هَلَاكِهِمْ وَخُحْبِهِمْ مَعًا صَبْرًا حَذَرًا وَحُجْرًا حَصْرًا
أَصْحَابِ حُلُمٍ سَلَامٍ أَعَزَّ مِنْهُمْ مَعْلَمٌ هَمِيمٌ
«وَنَجِدُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ خَدْرًا مُتَقَدِّمًا فَوْرًا مَا جَلَّتْ بِكَ أُمُكُ مِنْ
غَيْرِ الْحُطَّةِ الْإِصْلَةِ» .

۲۰. وفي المصاحف: توتل :

[illegible]

انه يجب علينا ان نصنع تذكاراً للجل بريم «لأن وجودها منذ البد.
رضض راس الحة الحنة» .

(۱) نیکو، ص ۳: ۱۵.

(۲) سفر استر ۱۵: ۱۶ .

٢١ وفي الباعوت تقول ما يلي :

لجسم مننا جسمهماء حنة وهما . هتقننهم
كنن اني مع كل منهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم انما وُسُسُهم . كنن بهم مع كل منهم .

« ان الله رتب بقدرته ملائكة العلا . وترهم عن كل عيب . فيكم اذن
يجب علينا ان نؤمن أن الابن وحيد مريم قد تزوه نفس امه عن كل عيب » .

٢٢ وفي فاتحة صلاة التار تقرأ :

معهماء ورتكهماء . . . وكاهنهماء وسلا هتقننهم
مجدهم . . . هتقننهم . . . وكاهنهماء هتقننهم
الاهلهماء هتقننهم .

يا مستمع الصلوات يا من قبلت ابتهاج حنة ويواكيم ومنعتها ابنة محبوبة
« جبل بها من غير الخطية الاصلية » .

٢٣ وفي الحن وضعهماء حيا جا :

هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم

ما اعجب اوضاع مبدائك يا مريم النقية ابنة حنة المتضعة لأن روح الله
الحي شادها وتعجب بها قائلاً : « كالك جميلة وليس فيك من عيب » ممقوت
بنة » .

٢٤ وُسُسُهماء هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم
هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم . هتقننهم

ان اصلك عاهر ايها السميدة لروح القدس الذي ابان عنه في سفره الموعب
حكماً وزينك بالمحاسن اكثر من الاجواق السماوية ورفكك على الناطقين الارضين
وقال جملة انت يا حبيبي جملة انت « ولا دنس فلك » .

[illegible]

ان انفس البشرية تخلق بأسورة بعله اثم آدم رأس القبائل الذي تجاوز امر باربه تعالى اما مريم « فقد برأها الرب وحدها » وزينها بتمجده .

٢٦ مَدَامَا بَحَلَا جَبَّ اَوْسَا حَنَه حَي مَهْم حَي حَقَا
مَدَامَا حَم مَحَلَا مَحَبَّه مَحَبَّه حَي مَحَبَّه حَي مَحَبَّه
مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه
مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه مَحَبَّه

ان موسى النبي صنع التايوت في ذلك الزمان ووضع فيه لوحى الوصايا والمن
وعنا هارون وصنعه مذهباً ليسكن فيه الرب الصباوت لاجل خلاص الشعب
العبراني "ومريم هى تيموت اذ رب الذي لم يعتمه فساد".

٢٧ س لا ومعهما ؛ وسجدن مع لا مكبرا سبه سجدن
سجدن وحدهما . هجند سبال سجدن حددا سجدن
هاسر معهما حددا سجدن ه عطا وإيتا إالافه
هههم حله ؛ فافنا مع لا ههم .

ان يتي الحق احب البتول اكثر من جميع المولودين وبرأها جديدة وجعلها عروسا مزينة ووضعها كالسوسة بين الشوك^١ وسانر البشر تدنسوا "ومريم وحدها حفظت من كل عب".

(۱) تعدد : ۱۰

(۲) نیز در

كما اثبت لنا ذلك البيعة الرومانية المقدسة المتعلمة من الروح القدس قازلة :
 « ان مريم البتول عُضت من الخطية الاصلية فورَ ما اتحدت نفسها المقدسة
 بجسدها الطاهر » . وامتلات نعمة ورَيفت بالمنح الحسنى . لذلك امرت البيعة
 المقدسة بنفها ان يعيدوا عيد الجبل بها من غير خطية اصلية . وهذا العيد هو
 مبتدا سعادتها والمنح التي نالتها من لدنه تعالى .

۳۰ ثم يقول :

[illegible]

اي : اما نحن المؤمنين اولاد البيعة المقدسة فبارك هذا جبل حنة بريم ونخبر بالحوارق المجترحة فيه قائلين : « مباركة حنة بريم التي حال اتحادها بالطبع البشري المائل الى الفساد حفظت النقاوة التي صمت بها على الملائكة المتزهة طبعهم الزهوى عن الفساد .

۳۱ ثم نقرا :

حَمْدًا مَعْمُومًا قَدْ قَامَ وَأَوْحَا تَسْتَبِيحًا مَعْمُومًا وَمَعْمُومًا
 مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا مَعْمُومًا

فلتفرح نساء الأرض بهذا اليوم المقدس بآية « التي أُجلب بها من جنسهنَّ
ولاشت الغضب المحتم علىهنَّ وسحقت الشيطان الذي استعبدنَّ » .

۳۲ وفي الحن ما يوفى بحسنه يقول :

مع ميم حتما و جذا اسم الله اسلا امها و جمعها .
 مدجة احدها مع ثقل هـ في نه حه حن ونحوها .
 وجنا الحمن ميمها حمزة تا جة ن سها ح

حجبت. ومع متكلماً وسبحته وحبه وحبه واسلم حبه
وحبه مقداً وحبه تمصه.

من قبل العوالم التي برأها الله بقدرته الفائقة اختطب البتولة من بين النساء.
وهندم جسدها في حشا والدتها « وبرأ نفسها مقدسة » وزينها بالحاسن وجعلها له
خدراً واحبها اكثر من جميع الناطقين وعانتها بحبه المضطرم وقبلها بقبالات فيه .

٣٣ وفي باعرت مار افرام ورد :

متلا ولهم قبل اوجبه احبتمنا وصه وسلم . هلا سجد
حبه قهلاً والاحب له . حبه وسلم . حبه وسلم
حبه قهلاً وبه وسلم . والاحب له حبه وسلم حبه وسلم
حبه وسلم حبه وسلم .

« ان نياہ الطوفان اهلك بني البشر الائمة ولم تفد تلك السفينة التي
صنعت للخلاص ومريم هي بالحقيقة سفينة نوح الثاني التي صنعها الرب وزينها
بواجبه وجعلها خلاصاً للعالم » .

٣٤ قهلاً وبه وسلم الاحب له . حله مع له قهلاً .
هلا ملاً حبه وسلم حبه وسلم حله حله . حله وسلم
حبه وسلم حبه وسلم والاحب له . حله وسلم . الاحب له مع
اوتملا وصحح حبه وسلم .

« ان سفينة نوح البار ارتفعت فوق الجبال والتلال ولم يعثرها فساد من
الطوفان الذي اغرق الارضين وذلك هو رسم مريم القديسة التي انحفظت من
بين الاناث وسمت على الصديين المتسامين بالفضائل » .

٣٥ وجاء في فاتحة صلاة الصبح .

حبه وسلم واحبه حبه وسلم حبه وسلم حبه وسلم
مع حله وسلم الاحب له

ايا الرب الذي اذات عترة يواكيم وحنة بواسطة مريم « التي انحفظت
من كل خطا » .

٣٦ وفي الحزب حكمة، رقة! تقول الكنية .

[illegible]

ان السر الذي لا يفتر تدل على حتى الى يواكيم الطاهر ومريم ابنته قبالة
بجبل نقي «لانها جبل بها مجسا اما بدون اسم» وذلك بارادة القدوس .

٣٧ وفي الحن حرم هذا، يجب وبملا هذه الطور :

[illegible]

« اذ صلي يواكيم البار الى الله وقرب له التهنيدات ظهر له الملاك وشجعه قائلا : قد سمعت صلاتك قدام الرب الذي انجلك . وهوذا حنة امرأتك تحبل بالذي يولدونه بر الابالة » .

٢٨ اَوَّلُ وَجْهِهِ اَلْاَدْنٰى صَفِيٍّ مَعَ كَلَامٍ مَبْدُوعٍ .
 اَلْمَبْدُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ . اَلْمَدْمُوعُ
 اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ . اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ
 اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ اَلْمَدْمُوعُ .

« يا من جال بك من غير الإشراف الاول » أسألي ولذلك الحبيب ان يفتح القرآن لمن يكرمون بأكورة اعيادك ويبعد عن شبه الحافل كل عمل مخالف .

۳۹ وفي المراجعة جا :

منہم اللہا حَبِیْ حَیْ بَقْصَا اَقْمَا لَحْمَہِمْ وَصَلَا . . .
ہَا اَقْمَا لَحْمَا تُوْہُتَ مَعُوْدِلَا مَنَحْمَا حَبِیْہِمَا مَنَحْمَا اَصْحٰی
وَحِیْہِمَا دِلْمَا حَدْحَبِیْ سَلْمَا . . . ہَا لَحْمَا
مَنَحْمَا مَعُوْدِلَا اَقْمَا

اجعلنا اللهم محادع نقية لكنناك وتكن نياتنا قربانا مرضيا لك شبه
سريم تلك « التي جعلت بها حنة من غير الخطية الاصلية » . وقربتها لله قربانا
طاهرا .

٤٠ وفي الحن هملحة وما هذا البيت :

[illegible]

ايتها البتول الحاصلة المباركة التي تسلسل سرها بنسل ابراهيم البررة ومذاقها العذب لذذ اقطار الدنيا متسلسلاً الى حنة التي نشأت منها البتول مريم القديسة «يجمل لم يتدنس قط» .

هذه التي بواسطتها نجت اليممة « النية من الضلالة » .

[illegible]

يا سيدة البرايا يا جمها وخطيئة الاب المحبوبة وام الابن الوحيد النقية وعروس الروح القدس « التي حفظك بالحبس بك في حشا املك حنة من السرور والاثم الممقوت » يصواتك نذ حفظ من وساوس المارد .

٤٣ وفي المراجعة ما نصه :

حصہ اول: اقلہ احمیہ و سلا و جلاب: مہمہ
حصہ اول: مہمہ و جلاب: مہمہ.

اي : اننا نعيد بالفوائد القيمة « لجل حنة الذي تم من غير الخطيئة الاصلية » .

٤٨. حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير

« يا مريم التي حفظك الروح القدس في حشا امك فوراً ما برأ نفسك
وانجدها بمجدك » اسألي لهذا الجمع الذي يكرمك بجسد عظيم ان يتسع بالجلوس
عن بين الابن الذي يخلصك .

٤٩. وفي لحن هذا نسمع هذان البيتان :

حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير

ايها البار الذي انشأت مريم النقية من حشا بنت اللاويين بدون
الخطية الاولى « وزيت اسمها في البيعة زينا مع امك الطوباوية التي ايجتها
بظهورك .

٥٠. حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير

ايتها الكنيسة ارمينية المقدسة اشكري للابن الذي قوى بعنايته طبع
حنه حتى « حبات بدون اثم » وحفظ في حشاها امه واخرى الثرى وسحق رأسه .

٥١. وفي لحن هذا نسمع هذه العبارات .

حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير
حنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير وحنمير

ان البارى تعالى الذي افتقد بنسبه اليصابات ام يوحنا المكرمة هو افتقد
حنه الودية « وحبلت بسيدتنا مريم من غير الاثم المقنوت والدنس » .

اي الكنية انتت ان «حنة حبلت بمریم بدون الاثم الاصلی ووذلت الجاحدين
براة الجبل بها ونبذت المفسدين الناقضين حقيقة هذا الجبل البري» .

٥٩ وفي لحن فمصلحاً ورَدَّ :

لَمَّا حَمَلَهَا مِنْ مَسَلَا وَفُكِحَ عَهْدُهَا عَهْدُهَا . لَمَّا
حَمَلَهَا فَهِيَ مَعَهَا بِبَلَدِهِ حَمَلَهَا بِهَذَا .

« تعالّي بالسلام ابتها الشريفة يا من انتِ يحملتك جمال باهر تعالّي بالسلام
ابتها الفردوس حارس الكروب النوري » .

٦٠ وفي سدر صلاة الصبح لبيان القديس يوسف .

جاء يوزن افعصلاً

(احل) حبل حبه املا محبته وسلمها لا عله
حبه . هعنه حنا حصه حنه وحنه صله حبه حبه .

ان الآب قد اختار لابنه امّاً مباركة «لم تتسلط عليها الخطية» قط وارسل
اليها الملك يبشرها بان ابنه يولد منها .

٦١ وفي صباح عيد القديس يوحنا مارون اول بطريرك على الطائفة
المارونية جاء في لحن صلاً حناً :

هَ حَمَلَهَا وَبَدَمَهَا بِدَا حَ امم حرقها وحنه
الامم حمن حنا وم . هحقت صله حنه لاه وحله
عه حنا وحنا صله الامم مع حجه . ونه وحه والامم
حمن حنا مع صله حنه حمن حمن حمن حمن وحله
وحقه حلاً .

قد رأى ابن يسى بعين النبوة المفاخر التي فطرت بها مريم بنت داود واخذ
يرغم باوتار قيثاره قائلاً ان جمال بنت الملك كله من داخل ليعلمنا بذلك « انها
(اي البتول) مبرأة من الاثم الاصلی » فليخز اذن الباحث الذي يقف خصماً
لذلك .

وجاء في مفتاح دباح الاحد هذا البيت في الشحيم باجن :
لهوحمه حبلال .

حب لهحمهسا صلاسا سا الله وحرحبر المجمع
مع منم لهحمهسا ذ و ححممن دهحمهذ و صلايوه
ههحمهيوه . حلهكم ححه ححمهسا ههحمهسا حلا مع
صلاسا صله مع اوحلا ادملا دهلم مع وهسا وهههه .

لك المجد ، بكلمة الله الحي ، لأنك تجسدت من مريم الطارانية ، التي
وجدت نقية بنفسها وجدها . وقد حملت بك بالقداسة وولدتك ميلاداً يلو
عن الوصف بدون زرع بشري ويجبل من الروح القدس .

عدد اخير

انه ليجدر بنا ان نختم موضوعنا هذا بباعوت ثومة ليل الثلاثة الاولى الذي
تغنى به كنيسة المارونية تنه تدلاً وفخراً بتاقب سيدتنا البتول السامية ،
وفضائلها العالية ، وعلاً قدرها الراسخ ، وبها جمالها الباذخ الذي عطف مولاها
تعالى اليها وبهر سماء القبائل جما . فلم تمالك من تأدية الطوبى لها وستزديه ،
بنعمة الله ، ما تصرمت الايام وانقضت الاعوام وهذا هو :

١ حلهسا اكمه صله منم حه ووسا انا وللمبا
صههسا وحا صله حله صههسا لهحمهسا
اوحهسا ههسا ححا رهممن . اه هه حلهسا واههسا
ححه صههسا .

« اني اقول في مريم ، مندهلاً مذعوراً ، الى اية درجة ارتقت ابنة
المساكين . قبل النعمة احدثت الابن اليها او هي حنت ان تكون امّاً لابن ---
القدوس ؟ »

٢ وحهحمهسا الله لاوحلا حلهسا . هه وودمليهسا
منم هه هه مجلهسا . حهحمهسا ههحمهسا
ههحمهسا . هه هه ححه ححه حهحمهسا ههحمهسا .

عني عن البيان ان الله تعالى احدر الى الارض بالنعمة ، « وان مريم اقبلته لكثرة تقاوتها » . وقد نظر الله الى تواضعها وهدونها ونقاوتها فحل فيها لانه سهل لديه تعالى ان يحل في المتضمين .

٢ جمع حم اسماء الا حلتها وحدثها . متة هجنا
حين وحدثها هجنا مع مكمها . اه هب اصنها . وحدثها هجنا
هجنا حين وحدثها هجنا مع مكمها . اه هب اصنها . وحدثها هجنا .

قال الله : الى من انظر الا الى الهادين والمتضمين . لذلك نظر الى مريم وحل فيها لانها وجدت متضمة اكثر من جميع المولودين . ومريم ايضاً قالت ان الرب نظر الى تواضعها فحل فيها فلذلك تمدح بقدر ما تحنت .

٣ هجنا لاجل وجمع حكتها مع حكتها هجنا . هجنا
حكتها ووسد حكتها حكتها . اه هب حكتها وحدثها حكتها
هجنا وحتها . هجنا حكتها حكتها وحتها حكتها .

انجد للآب الذي ارسل ابنه الى بنت داود ، وللجود للابن الذي اشرق منها في آخر الازمنة ، « الشكر الروح القدس الذي ملاها غنى وكثرة عظيماً » ، فاشرق منها كلمة الآب صلاتها معنا .

(١) هذه الايات الثلاثة الرائعة منقولة عن قصيدة مار يعقوب اسقف شروج (١٥١١-١٥٢١) . وقد نشرها الاب بولس-بيجان في ملحق كتاب نهدينا (١٩١٩-١٩٢٩) وهي منقولة في الاشجبة المارونية (ص ١٧٢) من طبعة الآباء اليسوعيين عام ١٩٠٤ (الشرق) .

لو كان للأفلاك نطق أو فم...

من ديوان المطران جرمانوس فرحات

نشئ المطران جرمانوس فرحات بريم المذراء واثاد بفناتها واضهر
في شجرة نخها من الورع والقوة ، من التحس بقدرتها الطبية والمخيلة
من الشور الصادق وبساطة التعبير ما جعله قيثارة لمرم تأخذ بالافول
بانامها الشجية . فرأينا ان نتطف من ديوانه المطبوع في بيروت سنة
١٨٩٤ هذه القصيدة المصاة ، المبع ما مدح به الشراء مريم المذراء ، وتتحف
بها قراء الشرق الكرام .

لو كان للأفلاك نطق أو فم	لترنوا بمدحك يا مريم
أنت التي وردت الإله مؤنساً	منها وفيها شأنها يتعظم
وروح قدس حاز منها جسمه	مقدساً وبقدسه يتجسم
أم الإله به غدوت حقيقة	من شك يكفرو الكفور سيندم
فالابن يأخذ من أبيه وأمه	براً وطبعاً وفيها يتقم
أخذ المسيح من الإله أبيه ما	لأبيه من لاهوته إذ يحكم
وله من البكر البتولة أمه	ناسوته المتجسد المتجسم
فقرأ مثل أبيه رباً قادراً	هدم الأثام وعرشه لا يهدم
وزاده يحيل ما لمرم أمه	متألماً ويحسه يتألم
مسيحيته غدا الورى متديراً	أمت نجا بطبيعته آدم
فاذا نظرنا في يسوع وأمه	فقرأ فيها طابعاً إذ يختم
فهم وعقل ثم حسن فائق	هذا بثلث وتلك فيه رسم
فبأي مقدار أشبه عظمها	حتى يشبهها الإله الأعظم

إِن قُلْتَ شَمْسًا فَالْكُفُوفُ يَعْجِبُهَا أَمَّا يَبَاهَا فَكُلُّ يَوْمٍ يَعْظُمُ
 أَوْ قُلْتَ بُدْرًا فَالْخُفُوفُ يَشِينُهُ أَمَّا سَنَّاكَ فَكُلُّ يَوْمٍ يُضْرَمُ
 أَوْ قُلْتَ نَجْمًا فَانْكَوَا كِبُ كُلِّهَا تَجْهَوُ لَدَيْكَ بِاحْتِشَامٍ يَكْرَمُ
 أَوْ قُلْتَ كَارُوبِيمَ عَرْشِ إِلَهِنَا فَسَمَوْهُمْ بِسُمُورِ شَانِكَ يُهْضَمُ
 أَوْ قُلْتَ سَارُوفِيمَ طُغْيَاتِ السَّمَاءِ لَوْلَا وَلِيدُكَ مَا سَمَوْا وَتَمَظَّمُوا
 أَوْ قُلْتَ جِبْرَائِيلَ بَيْنَ جُنُودِهِ فَفَرَاهُ نَحْوُكَ بِالرَّسَالَةِ يَنْجِدُمُ
 أَوْ قُلْتَ مِيخَائِيلَ يَوْمَ قَرَاعِهِ إِبْلِيسَ لَكِنْ مِنْ غُلَاكِ يُتَرْجِمُ
 أَوْ قُلْتَ طُغْيَاتِ الْمَلَائِكِ كُنْهَهُمْ لَكِنْ سَنَاهُمْ مَعَ يَهَائِكَ مُظْلَمُ
 لَسْنَا نَرَى شَيْبًا يُوَازِي حُسْنَهَا أَلَا ابْنَهَا ذَاكَ الْإِلَهَ الْأَعْظَمُ
 لَا غَرَوْ أَنَّ الْإِبْنَ يُشَبُّ أُمَّهُ إِنْ أَشْبَهَ الْإِبْنَ أُمَّهُ لَا يَظْلَمُ
 لَا قَتْلَ لَهُ أَمَّا وَلَا قَ ابْنًا لَهَا إِذْ مُنْطِقُ الْمَعْلُولِ عُلَّتْهُ الْقَمُ
 لَمَّا بِنِعْمَتِهِ كَسَاهَا فَافْكُتَى مِنْهَا يَجْسَمُ كَامِلٌ يَسْتَمَظَّمُ
 هِيَ بِالطَّبِيعَةِ أُمُّهُ حَقًّا وَهُوَ مِنْهَا بِنِعْمَتِهِ ابْنُهَا الْمُنْعَمُ
 فَتَى تُنَادِيهِ بِابْنِي يَا أَبِي فَكَذَا يُنَادِيهَا بِعَكْسٍ يُفْهَمُ
 بِالْإِتِّصَاعِ مُشَبُّ فِيهِ كَمَا قَدْ أَشْبَهَتْهُ بِنِعْمَةٍ لَوْ تَعْلَمُ
 وَنَظَاهَرَا مُتَشَابِهَيْنِ فَأَذْهَلَا نُسْطُورَ ذِيكَ اللَّعِينُ الْمَحْرَمُ
 وَالْمُبْدِعُونَ تَمَزَّقَتْ آرَاؤُهُمْ وَبَذَا الرَّدَى يَهْلَاكُهُمْ يَتَرْتَمُ
 لَا يَسَامُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 سَكَنَ الْإِلَهُ بِعَرْشِهَا فَكَأَنَّهُ فِي عَرْشِهِ الْعَالِي يَسُودُ وَتَحْكُمُ

فرشت له من قلبها وفؤادها
 جعلت كلالها وسادة من تحته
 وخنوها أحنى حتى ضلوعها
 حتى اذا ولدته طفلاً مرضعاً
 كانت ثقيله ويلزم صدرها
 فاذا رصدت بأوج عقلك صوتها
 قد سلمته نفسها وفؤادها
 فاذا رأيت الإبن يدعو أمه
 واذا رأيت الله فيها ساكناً
 واذا رأيت الصم تسمع مدحها
 واذا رأيت المدح فيها واجباً
 طوباك يا تاج الخلائق كليم
 وبدونك الساعي المجدد مقصر
 لا علم لي ماذا أجيد لك الثنا
 هذا أقول ولست فيه كاذباً
 فيك اعاد الله ثاني مرّة
 لولاك قد باد الورى من شره —
 ندم الإله الأب حين برا الورى
 فلذلك صرت للخلائق مؤثلاً
 قد جئت نحوك خاضعاً ومسلماً
 إستبرقاً ونمارقاً تتسوم
 كيلا ينسام على وساد يؤلم
 منها بمنزلة السرير يوم
 بحليبها وهو المقيت المنعم
 متلازمين لزوم ما هو ألزم
 يشجيك لحن هديرها المتنعم
 ملكاً له وبملكه يتنعم
 عجباً لجهلك كيف لا يتعلم
 عجباً لكفرك كيف لا يتألم
 عجباً لإشعرك كيف لا يترنم
 عجباً لقلبك كيف لا يتكلم
 وبدونك الإنسان لا يتحكم
 وبدونك الخاطي أسير ملجم
 وبدحك المنطوق أكن أبكم
 وجزا الكذوب بما يقول جهنم
 ما قد يراد والدليل ثم هم
 لكن بفضلك ليس حقاً يعيد
 لكن لأجلك عوض لا يتندم
 يرقون نحوك والمديح السلم
 منذ جالك جبرائيل وهو يسلم

عقيدة الجبل بلا دنس في الطقس البيزنطي

بقلم الاب نيقولاوس قادري قس

يدخل

الإنسان ، مولود المرأة الى العالم حاملاً في ذاته نتائج الخطيئة الاصلية ومتنزلاً عن الحياة الالهية التي قصد الله ان يعطيها للانسانية كلها كما اعطاها لآدم وحواء . عندما خلقها في الفردوس وضاعت هذه الحياة الالهية في فردوس عدن وتجرد منها ابونا الأولان فكان لا بد لكل انسان ولد مرة اولى للحياة البشرية ان يولد ثانية للحياة الالهية . وهذا هو السبب الاساسي من وضع سر العماد كواسطة للخلاص ولفيض الحياة الالهية ومن لا يعتقد بالما . والروح فلن يدخل ملكوت السموات ولا بلد القديسين ولن يصبح ابناً في أسرة ابناء الله وعضواً في الجسد السري وغصناً في الكرمة الحقيقية في يسوع المسيح .

مع ذلك خليفة واحدة دخلت الى العالم وهي كاملة النقاوة وحاضرة على نعم الله ورضاه بالرغم من السيل الجارف الشامل لكل ابناء آدم . وحدها دخلت الكيان البشري وكانت « كلها جميلة ولا عيب فيها » اجل لقد ولجت الى العالم وهي مزينة باجل النعم وهذه الخليفة الفريدة هي سرهم العذراء ام الله . وتسمي الكنية المقدسة هذا الانعام الذي لا يعادله شيء . بالجبل بها البري . من الخطيئة الاصلية .

ففي الثامن من كانون الاول من عام ١٨٥٤ حدد البابا بيوس التاسع بأن سرهم العذراء . « بنعمة خاصة وبانعام فريد وبالنظر الى استحقاقات يسوع مخلص الجنس البشري وجدت برينة من وصية الخطيئة الاصلية منذ اول لحظة من الجبل بها . »^(١) فهذه العقيدة الجديدة في وضعها القانوني والقديمة الأجيال في الاحساس بها احساساً قليلاً وعن طريق الصلاة والتأمل في اسرار انديانة المسيحية هي موضوع بحثنا من خلال الطقس البيزنطي .

(١) راجع براوة بيوس التاسع في تعديد الجبل بلا دنس ومطلبها « الاله الذي لا يرصف داترغر عدد ١٦٤١

عيد الحبل بوالدة الاله

في القرون الاولى للنصرانية اتجهت افكار المسيحيين نحو يسوع المسيح موضوع انجائهم وتعاليمهم. وما ان اشرق القرن الخامس إلا وحدد في مجمع افسس عام ٤٣١ امومة العذراء الالهية^(١). ومنذئذ تطلعت الأبصار بارتياح الى وجه مريم الغني بالصفات والبهات الفريدة وارادت ان تطل على ضياء هذا الجمال الخالد لتتم بكنوزه فراحت تعمل الفكر والقلب والخيال واذا بالشعر والموسيقى والنحت والتصوير «ترفع للعذراء الهياكل المحيطة وتشيد لها المعابد على دعائم المبقرات والايمان^(٢)». فالاشواق السامية والخيال المبدع والعواطف المتخلجة في القلب البشري والاحلام التي كانت توزع على الليالي القراء كواكب جديدة وذلك الانتظار الطويل، انتظار العوالم والقرون وجدت على الفور مفرقة عندما ظهر هذا الوجه الجلي وجه مريم العذراء والام الالهية ليسوع المسيح ابن الله الوحيد.

وغدا هذا الموضوع الجديد يؤلف وحدة قوية بين الابن والام وابتدأت اعياد العذراء مريم تنبجس من قلوب المؤمنين. فرسموا عيد البشارة وعيدوا لسر الامومة عقيب مجمع افسس. وفي القرن السادس اقاموا عيد مولد العذراء وأتبعوه بعيد انتقالها الى السماء. وفي مطلع القرن الثامن بزغ عيد الحبل بوالدة الاله فكان الشرق البيزنطي السابق الغنور بحبه وتعلقه بمرم العذراء. فأقام لها الاعياد والاعياد ليبرهن على انه المستطلع الاول على امتيازاتها وسمو طياتها وقداية طبيعتها التي تكررت بحسب المجري الطبيعي، ولكن ابن الله سبق فانتخبها من بين سائر الاجيال لتكون امًا له وصانها بريئة من العيوب معصومة من الخطيئة الأصلية. ومن تبعات هذه الخطيئة.

ومن هذه الشهادات قانون القديس اندراوس اسقف كريت (٨٢٠+)
ي تشده الكنيسة البيزنطية في صلوات العيد الموضوع لليوم التاسع من كانون

Cf. Martin Jugie. D.T.C. « Immaculée Conception dans l'Eglise (1 Grecque ». T. 7. col. 893

Cf. Pierre Molaine: L'Itinéraire de la Vierge Marie. Corrèze, 1953 p.7-8 (r

Cf. Louis Chaigne: Histoire de Marie. Paris 1949 p. 26-27

الاول ومطلع هذا القنوس : « ايها المسألة اعفل حنة . ان بعيد اليوم لحبك لانك اذ قد اطلقت من القيود العقرية جبلت بالتي وسعت الذي لا يسهه مكان »^١ ونجد اول عقلة في موضوع هذا العيد عند يوحنا اسقف ابيه (Eubée) معاصر القديس يوحنا الدمشقي (٧٤٩). فالاسقف المذكور يدعو جبل حنة اول الاعياد ويجسب النظام التاريخي^٢ وقد عم هذا العيد كنائس المملكة البيزنطية في أيام فوتيوس (٨٦٩) ورفعت درجة الاحتفال به الى مقام الاعياد الاحتفالية المبجلة للعمل في زمان الملك باسيلوس الثاني (٩٨٤) وهذا الامبراطور نفسه حدد يوم الاحتفال في التاسع من كانون الأول . ومن بعده أثبت الامبراطور مانويل كومنين براءة ملوكية ظهرت سنة ١١٦٦ واجب الاحتفال بهذا الموسم العظيم كما هي المراسم الجارية في الاعياد الكبيرة .

موضوع العيد في الطقس البيزنطي

كل من تصفح نصوص الآباء والشعراء والصلوات الليتورجية وجد ان العيد موضوعاً شاملاً لنقاط ثلاث :

النقطة الاولى هي البشارة . جاء ملاك الله الى يواكيم وحنة وبشرهما باستجابة مآلتها وصلواتها : « ايها الرب لقد استجبت طلبه جدبك الصديقين وأتممت مآلتها المقدسة ومنحتها ثمرة » وهي والدتك النقية . هذه هي نقطة انطلاق العيد وقد استرحاها الشعراء من اشعل يعقوب الرثيف^٣ ودولها حاكرا نواة العيد « ان حنة العفيفة اذ كانت قديماً تصلي بايمان صحت صوت الملاك محققاً لما استجابة مآلتها فخطبها علانية ان طلبتك قد بلغت الى الرب فلا تحزني بل كفكفي الدموع لأنك ستحيرين زيتونة حنة الشوم مخرجة غصناً ياباً . »^٤

(١) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٩٧ عمود ١٣٠٥ وكتاب الميناون الربّي الجزء الأول صفحة ٢٩٣

(٢) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٩٦ عمود ١٢٧٧

(٣) ٩ كانون الأول قانون أودية ٣١

(٤) Cf. E. Amann ; *Le Protévangile de Jaques*. P. 99

(٥) ابر شينخن قطعة ثانية .

النقطة الثانية هي اعجوبة الجبل الذي تم في حشاعيم: «ان حنة التي هي النعمة الالهية قد هتفت قديماً وهي تصلي من اجل ولد صارخة نحو خالق الكل والمهم: يا اودونايا الصابرات انت عارف عارِ القم فازل ألم قلبي وافتح مسالك احشائي واجعل العادة الشر مشرة^(١)» وربما تكون هذه النقطة موضع الاحتفال في مظهره الخارجي فيكون العيد شكراً لله على الاعجوبة التي صنعها مع يواكيم وحنة. وتثباتاً لهذه النقطة تصرح الكنيسة في صلواتها وتردد صدى الاعجوبة: «ان الذي أنبع من الصخرة ماء قد منح جوفك يا حنة ثمرة وهي السيدة الدائمة البتولية التي سيأتي منها الخلاص فقد تخلصت من العار فلا تسكين بعد على الارض كأرض عادمة الثمر لانك تولدين ارضاً تثمر سنبلة الحياة^(٢)». الا ان الاعجوبة لا تذكر بالنسبة الى نتيجةها «فقد منح جوفك يا حنة ثمرة وهي السيدة الدائمة البتولية التي سيأتي منها الخلاص».

والنقطة الثالثة للعيد البيزنطي هي الجبل في نتيجته اي في اتيان ايام الله الى الوجود بطريقة مقدسة وبجال مستغربة وبالهام صانع كل المبرزات ويصرخ القديس اندراوس في قانونه عن نتيجة الجبل كابها محرر العيد وغايته الاولى: «يا حنة لقد شرع ينسج في جوفك برفعة ملوكية التي اذ يتسرل بها الاله ملك الكل يظهر الأنام ويتبر الاعدا المحاربين لنا على الدوام^(٣)».

ويبقى لايد توجيه الأولي وتعدو العذراء مريم غاية الاناشيد ومرمى الشراء وصدى لا اقوال الأنبياء: «ان اقوال الانبياء السابقة قد تمت لان الجبل المقدس يستقر في الحشا. والسلم الالهية تنصب والمرش العظيم للملك يبيأ ومكان اجتياز الاله يُعد والموسجة الغير المحترقة قد اخذت في الافراع وخزانة طيب التقديس تفيض الآن انهاراً^(٤)» ومن خلال هذه التبرعات نشمر مع الكنيسة بان مريم لبثت بالنسبة الى الخطيئة الأصلية كالغيتة غير المحترقة (ἡ ἀρχαία ἡ ἁγία) بنار الخطيئة. وهي في سموها وطهارتها كانت منذ اول لحظة خزانة طيب التقديس (ἡ ἁγία ἡ ἀρχαία ἡ ἁγία).

(١) قانون ٧-٢

(٢) غروب ٩ ك ١ قطعة ٢

(٣) ابر ستيجن قطعة اولي.

(٤) غروب قطعة ٢

والنقطة الاولى هي التي أوحى العيد وأدخلت الاحتفال في التقويم الليتورجي ولكن لا ننس ان نتيجة البشارة كانت ترمي الى اتيان الفاتحة القداسة التي سوف تقديس البشرية « بطيب القديس » اجل لم يكن العيد ناشأ عن مجاذلات ومحاورات لاهوتية وابعاث فلسفية ولم يتخط في التعبير الا عما يشرب به المؤمن في تأملاته وسجوده وايمانه ولم يدخل العيد اليوناني كما كان دخوله في الغرب نتيجة مباحثات منطقية وفلسفية بل كان بحاجة الى إكالات الاعياد المرمية . وقد أوحى الانجيل المنسرب الى يعقوب الرسول الموضوع الاول في مظهره التاريخي أي انه أوحى البشارة للقديسة حنة بالجليل العجيب والالهي^{١)} *ἡ ἐν τῇ γαλιλαίᾳ* واما النصران الآخرون فأتحدوا طبيعياً وبديعياً بتلك التواة الأولية وتسمى مريم ثمرة برّ أي ثمرة قداسة جديرة بمن وهبها . وثمره وحيدة في جنبها تحوي كل الصفات .

بيد أن النصر الثالث اعني الجبل بوالدة الاله قد شغل المقام الأول في فكرة الشعراء والآباء . فأنشدوا جبل حنة لأنها جبلت « بشرة سوف تفتح باب الفردوس بالنعمة » *(ἡ ἀπερὸς τῆς χάριτος)*^{٢)} . وباب الفردوس قد أغلق بسبب الخطيئة الأصلية ومريم تفتحه لأنها تسمر على الخطيئة . ونجد في أناشيد العيد صدقاً قريباً لهذه القضية التي تهتمنا . وتتنى الشعراء والكتاب باتيان مريم الى الوجود وتصورها بالحشا العقيم ومنذئذ أصبحت الخليفة الجديدة التي صدرت من يد الخالق بنوع عجيب وهذا هو السر المستغرب الذي لا تدرك عظيمته من الملائكة والبشر يظهر طفلاً في احشا . حنة العفيفة اعني به مريم فتاة الله مهيأة لكنى ملك الدهور كلها^{٣)} . ليست اعجوبة الجبل بالسر المستغرب وانما شخص مريم المتكون في احشا . حنة بنوع الهي هو موضوع البهر المرموز اليه وليس ظهور مريم بالوجود بالسر المستغرب وانما طريقة ظهوره للوجود على خلاف عادة المولودين هو السر المستغرب لأن مريم هي « فتاة الله والمهيأة لكنى ملك الدهور كلها » اذا يجب ان يكون دخولها للعالم بنوع فائق وبقداسة سامية .

١) Cf. *Μεγίστη Τόμ. Β'* P 419. *Ἐν Πρώτῃ* 1889

٢) ٩ ك ١ غروب كاتين .

٣) قانون اودية ٢-٣

وقد رأى الشعراء كما رأى الخطباء رأوا في شخص مريم المزمعة ان تكون اما ليسوع المسيح صورة ابنها المتجد لهدا البشرية و«لتجديد الجيلة الانسانية» وقد افسح هذا العيد المجال للشعراء ان يعبروا عن اعتقادهم بقداسة مريم والدة يسوع الاله الانسان فقالوا في وصفها : « ان مصف الانبيا . قد سبق فأنبا قديماً عن النقية البرينة من العيوب الإبنية فتاة الله التي جبلت بها حنة وهي عقيم عادمة الشر . فلنغبطها اليوم بابتهاج قلب نحن المخلصين بها بما انما وحدها بريئة من كل عيب »^(١) «*ὡς πύργος Ἰερουσαλὴμ*» ففي هذه الذبارة الاخيرة وحدها بريئة من كل عيب نجد صدق الانعام الخاص بمريم التي جبل بها بدون الخطيئة الأصلية والخطيئة هي عيب بنظر اللاهوتيين والآباء . ومريم وحدها وُجدت من أول لحظة من كيانها الانساني معصومة من هذا العيب بريئة منه ومن كل العيوب .

وبسبب هذا الاعتقاد المسدد الى الحقيقة المخصة بمجد عناوين المجد في اكثر الكتب واللغات الليتورجية البيزنطية ترمي الى الجبل في نتيجته وفي سره وغرابته وبعده عن المسير الاعتيادي . من هذه العناوين : « جبل حنة يرالدة الاله » وهذا العنوان نجد شائناً في القرون الوسطى عند اليونان والسلاف وما تحمل هذه العناوين نتيجة الجبل فحسب بل ان اغلب الصلوات الموضوعة لهذا العيد تهدف الى الجبل في نوعه المقدس وفي حده الأخير : « اليوم من أصل داود قد تفرغت برفيرة ماوكية واخذت تنبت زهرة يسى السرية^(٢) » وهذه الحقيقة تصرح بها حنة اذ تقول : « ها انا اتقبل في احشائي التي سبق داود فدعاها ملكة سأله شفيعا جميع المؤمنين »^(٣) واذا كان موضوع العيد شاملاً لهذه النقاط الثلاث مع ذلك بيتي الجبل المقدس النقطة الاساسية والصلوات هي صدى للايمان الحي يتوضح على عمر الاجيال .

نوع التعبير عن العقيدة في الطقس البيزنطي

يرجع تحديد العقيدة الى الثامن من كانون الأول ١٨٥٤ وقد أعلن البابا بيوس التاسع ببرايته «الاله غير الموصوف» صيغة التجديد بهذه الأوضاع : «بطلة

(١) كانتا اولى . كانتين .

(٢) غروب عيد الجبل كانتين ابو شينجن .

(٣) قانون ٨-١

يسوع المسيح والرسول الامام بطرس وبولس وسلطانا نحن نعلم ونحن نحدد بأنه بصفة خاصة وبانعام مريد من قبل الله القدير واعتباراً لاستحقاقات يسوع المسيح يخلص الجنس البشري بحدود بأن مريم العذراء وجدت لأول لحظة من الحمل بربوة من كل وصمة الخطيئة الأصلية.^(١)

في الطقس البيزنطي لا توجد مثل هذه الأوضاع الضرورية وهذه التعبيرات التي أفضت اليها المباحثات اللاهوتية على توالي الاجيال وانما في العيد البيزنطي والصلوات اليونانية اساليب عديدة لبط هذا الايمان النير وللتحس هذه الفكرة الاساسية التي تؤلف موضوع التعبد المباشر.

وفي الاجيال الاولى الثلاثة للتصراية تكلم الآباء اليونان عن مريم العذراء فدعوا حواء الجديدة كما دعوا يسوع آدم الثاني ونعتوها بالكلية القداسة وام بتول لانها ام يسوع المتجد وقد شاركت ابنها في عمل الخلاص الذي جاء. ينتقض اللعنة وعمل الملاك الذي جرت حواء الاولى على البشرية. وكما ان ربنا خلص بطاعته ما أخاعه الإنسان الأول بعصيانته : « كما انه بمعية انسان واحد جعل الكثيرون خطاة كذلك بطاعة واحد جعل الكثيرون أبراراً »^(٢) كذلك العذراء مريم ام الكلمة المتجدد تتدو واسطة خير وآلة خلاص للبشرية المتجددة : « ان الله استرجع بعمل مناقض لصل صورته ومثاله الذين شوهها الشيطان فاستخدم لذلك عذراء ثانية يعطي العالم الكلمة القادي حتى ان الجنس الذي كان سبب خسارتنا هو نفسه يصير آلة خلاصنا »^(٣)

والقديس يوستينوس الفيلسوف رسم هذه الفكرة لأول مرة في حوار مع تريفون : « صار ابن الله انساناً من عذراء حتى تأخذ المعية جدها على مثال ما ابتدأت » عندما قبلت حواء في قلبها كلام الحية وبهذا الفعل ولدت المعصية والموت كانت عذراء وبدون فساد وأما مريم العذراء فعندما كانت نفسها متمثلة من الايمان والفرح اجابت الملاك جبرائيل رسول الفرحة والسعادة : ليكن لي

(١) رسالة البابا بيوس التاسع Ineffabilis Dens الصادرة في ٨ ك ١ سنة ١٨٥٤

(٢) رومية ٥-١٩

(٣) موسوعة الآباء اللاتين Migne مجلد ٢ عمود ٧٨٢ ترتليانوس

حسب قولك.^{١١} والقديس ايزناوس يتوسع بالموضوع نفسه وبعطيه مقاماً مهماً في تعليمه « لقد جدد يسوع المسيح كل شيء. اذ بدأ بالهجوم على الشيطان عدونا فصرعه وتغلب على من في البدن. اسرنا بشخص آدم وسحق له رأسه بحسب قول الله للحية.^{١٢} ثم يتابع تحقيقه لهذه المقابلة بين مريم وبين حواء : « قرب آدم كانت حواء المرأة الاولى التي اعطاها الله عوناً بازاء آدم وشريكة له ولكن بعصيانها صارت لذاتها سبب موت وللجنس البشري بأسره. وقرب آدم الجديد كانت مريم وهذه بطاعتها هذه سبب خلاص للجنس البشري بأسره. بل ان الجنس البشري خضع للموت بسبب عذراء. هكذا من جديد حصل الخلاص بواسطة عذراء. بحسب التوازن العادل فطاعة عذراء (مريم) عوضت ما أضاعته وخسرتة معصية عذراء (حواء).^{١٣} والآباء. قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ يسون: مريم العذراء. القديسة *ἡ ἁγία ἡ ἀειπάρθενος* : فهي اديسة بنفسها وجسدها ومنها اخذ الكلمة جسداً يتوافق مع تحقيق مقاصده الرحمة وقد دعوا العود غير الفاسد *ἡ ἀειπάρθενος* الذي صنع منه تنبت الهمد اي بشرية يسوع المسيح غير الفاسدة فالمسيح يسوع هو بدون خطيئة : ا انه بحسب بشرية من العود غير الفاسد اعني من مريم العذراء. الطاهرة البرينة من كل العيوب ومن الروح القدس.^{١٤}

ومن مجمع نيقية حتى مجمع افسس (٣٢٥ - ٤٣١) على الرغم من اهتمام الآباء العظام بالعائذ اللاهوتية والرد على الارائقة وانشغالهم بالمائل الكبيرة كالتالوث ولاهوت يسوع المتجد فجد مع ذلك مسألة طهارة مريم البتول موضحة بأوضاع تفيض بالتعبير الجلي فديديم (Didyme) الاسكندري ينمت مريم « بالعذراء. البرينة دائماً وابداً^{١٥} *ἡ ἀειπάρθενος* : *ἡ ἀειπάρθενος* وهي دائماً البكارة وكاملة الطهارة ولا تعني الكمال الطبيعي فحسب بل تمتد ايضاً الى كمال الروح والنس وبنا ان مريم دائماً عذراء. فهي دائماً القداسة. وبنا

(١) موسوعة اليونان Migne مجلد ٦ عمود ٧١٠

(٢) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٧ عمود ١١٧٩

(٣) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٥ عمود ١١٧٥

(٤) Cf. X. Le Bachelet. *Imm. Concep.* D. T. C. tome VII. Col. 873,874

(٥) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٣٩ عمود ٨٣٣

عن ان الحركة الالهية تستقر في العذراء منذ أول نشأتها في احشاء امها حنة فتكون قد استفادت من الامتلاء من النعم ولا يمكن للكنيسة ان تفترض تكون جسد مريم بدون ررع كما يزعم بعض الارثوذكس^١.

والبرهان الليتورجي يستند الى نصوص الآباء ومعتقدهم فيصبح آنذاك دليلاً ثابتاً وقوياً على ان الطلسم البيزنطي يعبر عن عقيدة الجبل المتزه عن العيب بأوضاع كثيرة فيقول عن مريم : « ان ميلادك بري. من العيب ايها البتول البريئة من العيب والجبل بك غير موصوف »

« ἡ Ἀρχαρχὴ σου ἡ ἁγία Παρθένος ἄρχαντι. ἀρχαρχὸς ἡ συνάληλη σου καὶ ἡ ὁδὸς »^٢

فهذه شهادة مباشرة وواضحة ولا يمكن انكارها فالقديس اندراوس استق كريت يثبتها عن معتقد عميق ولا يعني بكلمة « ميلادك » ميلاد يسوع لان التشيد انما وُضع لميلاد العذراء في الثامن من أيلول وليس لعيد الميلاد .

ويقول انها « بريئة من العيب » ἀρχαρχὴς وبريئة من كل العيوب « πνευμαύμωτος » وانها انتخب منذ الأزل لتكون في الزمن وبحسب الجسد أمًا للاله : « اليوم حنة تهتف قائلة : يا رب لقد سمعت صلاتي ومنعتني ثمرة الموعد التي هي والدتك الطاهرة النقية السابق تحديدها من بين سائر النساء ومن قبل جميع الاجيال^٣ والكنيسة في ضاوتها كثيرا ما تستدعي المؤمنين ليكرموا الجبل بمرم المقدس : « فلنكرم الجبل بها المقدس »^٤ و « هلم يا معشر المؤمنين لبادر نحو البتول التي قبل تصورها في الحشا سبق تحديدها أمًا لاهنا تولد من اصل يسى »^٥ ويصوت

(١) راجع الارثوذكسية السنة الثالثة تشرين الاول ١٩٥٣ عدد ٨ صفحة ٤٠٠ وعن جبل حنة بالعذراء والدة الاله القانفة القداسة بدون مضاجعة براكم لما وهذه هي البدة التي يسوعا (الجبل بلا دنس) كأن صاحب المقالة « غير الارثوذكسية » لم يبحث بتعليم الكنيسة الكاثوليكية ولا علم له بالخفاق اللاهوتية وانما ينسب الفلال عن غاية في النفس.

(٢) قانون اندراوس الاقريشي ٨ ايلول اودية ٩٨-٩٩ T. T.P 98

(٣) قانون اندراوس الاقريشي ٨ ايلول اودية ٩٩

(٤) كاتين بعد الاودية الثالثة .

(٥) ٨ ايلول كاتين ابر ستخن .



صورة السيدة العذراء مع الطفل يسوع والملائكة لفرانز جاكوبس - مخطوطة في فلورنسا.

الإنسان الأول خلُق وجُبل من ارض طاهرة فكان يجب على الإنسان الكامل ان يولد من عذراء طاهرة وريثة من السب «*ἐκ τῆς καθαίας γένεως*» هذا «*καθαίως*» وجه المقابلة بين الارض والعذراء. وقد ولد منها آدم الأول وآدم الثاني هي الزكرة المشتركة «*κοινὴ*» وهذا الـمت يفهم بالوضع الأول عن الأرض الكبر ولا تدعو في وضعها الثاني الا الى الكمال البتولي ويفهم هذا الـمت «*καθαίως*» يجد ذاته عن الأرض التي لم تتدنس بمخطينة آدم وبالنتيجة لم تخضع لعنة الله . وعندما تحمل هذه الصفة على شخص مريم في الوضع الثاني من المقابلة فانها تسو وتدل بوضوح على الكمال والزاهة من كل عيب «*καθαίως ὡς καὶ ἡ ἀρχὴ*» .

والقديس ايفانوس يتخطى المقابلة بين حواء ومريم الى ما ابعد واعتمى فلا يصل التعليم عن آدم الجديد وحواء الجديدة بآية سفر التكوين ٣-٢٠ فحسب بل يستنتج عدة نتائج عن المهمة التي تختص بها مريم . ينظرها بصور ورموز في المرأة الاولى آخذة اسم حواء وأم الأحياء . اجل يقول هذا القديس «اخفت حواء هذا الاسم بعد ان سمحت هذه الكلمات : انت ارض والى الارض تعودن اي بعد الخطيئة . فلماذا اعطيت هذا اللقب بعد سقوطها ؟ اذا اعتبرنا فقط الحياة الجسدية والمادية فالجنس البشري كله متجدد حقيقة من حواء ولكن بالحقيقة مريم ادخلت الى العالم الحياة الحقيقية وهي التي ولدت الحي وتسمى أم الأحياء»^(١) ألا تقتض هذه المهمة نعمة وقداسة فريدة ؟ والقديس ايفانوس يفترض هذه النعمة والقداسة عندما يقدم لنا العذراء مريم «ككن وهيكل معد لتجسد الكلمة وتمدها لهذه المهمة اعجزوبة مذهلة وجودة الله . « ولا يرضى ان تكون مريم الها او آخذة جسدها من السماء»^(٢) «*ἐκ τοῦ οὐρανοῦ*» وهو ينفي عن مريم الجبل بلا زرع كما تعلم الكنيسة الكاثوليكية «ليس الجبل بالعذراء مريم جبلاً بذوئ» زرع مريم خاضعة للاحوال التي توافق التوليد البشري الذي يفترض فعل الزواج «*ἐκ τῆς συνουσίας καὶ τῆς γένεως*» ولا شيء . *Kαὶ οὕτως ἐκ τῆς συνουσίας καὶ τῆς γένεως*

(١) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٢٨

(٢) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٤٣

(٣) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٤٩

الشعر وشعب امسيحي يحضن بالحبل الالهي : « هلم نغفد اليوم محض روحياً
وعدده اشوق لتقدمة العيد هدية الشائد المنبؤلة لوالدة الاله فخر جنسنا مكرمين
احب الالهي بها على غير أمل. »^١ فهذه الاوصاف العديدة تبهرن عن تفرد هذا
« الحبل العجيب » و « الحادث من قبل الله » و « الذي تم بآل الهية ».

والطقس اليوناني في صاراته العديدة والنبوة كثيراً ما يقبل بين العذراء.
مريم وطهنت الملائكة « فهي اكرم من الشاروبيم وارفعت مجداً بغير قياس من
السارافيم ». ومهما تسامت هذه الطهنت في الطهر والنقا. « فريم تفوقها جميعاً
» ايها البتول لقد ظهرت اسمى من الشاروبيم وارفعت من السارافيم وارحب من
الباوات وانت ارفع سمواً من جميع المخلوقات^٢ ومريم لأجل نقاوتها وطهارتها
وتزهها عن العيب احبها الاله العلي واتخذ منها جسداً من جسدها هذا النقي
البري. من كل عيب والذي لم يوجد لحظة تحت سيطرة الخطيئة لان للمذراء.
جسداً لم يقبل سرّيان الخطيئة الاصلية بحسب شهادة الشاعر جاورجيوس الذي
تقنى بالحبل البري. من العيب : « يا والدة الاله النقية ان عجائبك تفوق قوة
الاقوال سمواً لاني أدرك ان لك جسداً يفوق الوصف لم يقبل سرّيان الخطيئة
لذلك اهتف فنجوك بشكراتك ايها البتول النقية بالحقيقة ارفع سمواً من جميع
المخلوقات^٣ » *ἡ ὑπερβαλλομένη τῶν ἀνγέλων καὶ τῶν ἀποστόλων καὶ τῶν ἁγίων*
.

هذه هي الخطيئة الاصلية التي تسري الى جميع ابنا. آدم ولكنها تقف في
سيرها عند مريم الحاجز وهذا الذي يكاد ينطق بالعقيدة كما حددتها الكنيسة
وارتكرت في تحقيقها على شهادات الكتاب المقدس والتقليد وخصوصاً على
نصوص الليتورجيا التي تنطق ببراءة مريم الفائقة. واذا ما قال الطقس البيزنطي
بأن مريم حازت نعمة دائمة عند الله وانها خلقت شبيهة بآدم قبل ان يخطأ وهي
المجددة لآدم وحواء : « ان ملكة الكل الحُدر الالهي الذي سبق الحتم يمجّطها
مكناً لله التي بها وطئت الجحيم الهائلة وبها حواء مع كل ذريتها تليج في حياة

(١) ٨ ك ١ غروب كبيره

(٢) ٢١ ت ٢ اودية ٩-٢

(٣) قانون جاورجيوس ٢١ ت ٢ اودية ٩-٢

مصونة^(١) ظيرت مريم الساحقة لرأس الحية كما صورها كتاب الخليفة وتنبأ به
اذ قل انه للحية سأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلها فبني
تسحق رأسك وانت ترصدين عقبها^(٢) فريم هي التي انجبت النسل الكريم يسوع
المسيح الذي به ومعه سحق رأس الحية سحق الشيطان عدو الانسانية لانه
«نجد ابليس دخل الموت الى العالم»^(٣). و«الشيطان هو قاتل الناس منذ
البدن»^(٤) وهو يضل المسكونة ويئدها^(٥). فريم اذن هي التي شنت الحرب
والصراع الخالد بين على الحية وعلى ابليس وانتصرت عليه وسحق رأسه بقدمها
الطاهر البري.

والعذراء وحدها ما احتاجت الى المصاحبة مع الله لانها تقدست وتبررت
منذ ظهورها في حشا امها حنة. وهي كانت دائما مباركة ووحدها مباركة
وبالاخص لو وجدت هذه الفكرة تحت قلم كتاب وشعراء وصفوا الخطيئة
الأصلية باللعنة وقد علموا بانه من المستحيل ان نفترض بريم اقل عيب وأصغر
دنس ان في النفس او في الجسد لانها بريئة من كل العيوب وأم الهنا و«قد
سبقت فبشرت كل العالم يا علة حياتنا واضمحلال الالمة وهبة البركة»^(٦).
Kαταρχὴς ἀναρχίας ἡ ἀναρχία. وكيف تضمحل الالمة لو كانت
العذراء. مارنة بالخطيئة وتحت سيطرة ابليس وكيف تكون تجديد آدم وحوا.
كما تسميا الليتورجيا. «لنضرب القيثارة الروحي في موسنا هذا البني لان فيه
قد ولدت أم الحياة فأزالت الظلام بنا انها ينبوع عدم الفساد وتجديد آدم وحوا.
التي بها تألهنا ونحونا من الموت»^(٧) في كل هذه الأوضاع نرى مريم تربل ظلام
الخطيئة وتقدو ينبوع عدم الفساد ينبوع النعم وهي ممتلئة نعمة كما سلم عليها
جبرائيل «افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة انت في السماء. ومباركة هي
ثمرة بطنك»^(٨) ولو كانت مريم مارنة بالخطيئة لما استطاعت ان تكون تجديد

(١) ٨ ايلول لتين اليد قطعة راحة. (٢) ٨ ايلول ابر ستين فنة ٢

Μηναίη T. I. P. 92

(٣) نكروين ١٥-٣

(٤) ٨ ايلول كاين لتين.

(٥) سفر الحكمة ٢-٢ و ٤

(٦) ٨ لوقا ١-٣٨ و ٣٢

(٧) يوحنا ٨-٤٤

(٨) (رويا ١٢-٩)

آدم وحواء « وعلة » تَدُنَا . « ميسي اذن النقية التي تقدست لله قبل الجبل بها :
 « ايها النقية انك قد تقدست لله قبل الجبل بك »^(١) وبذلك يتكهن ان تسحق
 رأس الحية « ولا تلامها يد مدنسة بالكلية »^(٢) *ὁ ἄβυσσος ὁ ἀβυσσος*
 فبهذه العذراء التي لا تمتد اليها الخطيئة ولا تسري الى جدها ونفسها فهي
 « السيدة التي وحدها تمار الجمع »^(٣) فيكون الجبل بها بريئاً من الدنس مقراً
 عن العيب جديراً بالتمجيد « ايها النقية انني امجد الجبل بك واعظم مولدك
 القامض الوصف »^(٤) ولم هذا التمجيد وكيف يكون مولد العذراء غامض الوصف
 لو كان للشيطان اليد في تلويث هذا الجسد الطاهر منذ أول لحظة وكيف
 يكون الجبل بالعذراء غريباً كما تقول صلوات الكنيسة : « ايها العذراء ان
 الجبل بك مستغرب ومولدك عجيب » فأين الترابية والاعجوبة لو كانت مريم
 خاضعة كبقية الناس لسريان الخطيئة الأصلية ؟ وكيف ترهر سنبلة عدم
 الموت ؟ وكيف « تفتح باب الفردوس بالنعمة »^(٥) وكيف « تريل بيلادها اللعنة
 التي وجبت علينا بآدم »^(٦) ؟ لو خضعت مثل آدم سلحكم اللعنة ؟
 ومذلول الصلوات واضح والفتافات بنقاوة مريم المطلقة بالنسبة الى البشر .
 تمار من كل قلب وتمحو على كل فم : « ايها الفائقة القداسة والدة الاله
 خلصينا »^(٧) والايمان بقداسة مريم السامية يبقى صريحاً في صلوة ايها السيدة
 النقية الطاهرة العذراء عروس الاله العادمة العيب البريئة من الأدناس^(٨) .
 وهي المتلئة نعمة حتى في حين الجبل بها كما رأينا وهي « الطير الذكي
 التي تقبلت طيب الحياة »^(٩) ولم « يشتم منها رائحة الفساد »^(١٠) « يا ايها الملكة
 وعروس الآب البريئة من العيب »^(١١) .
 ومريم العذراء هي الفريدة من بين النساء المقورة بالنعمة الالهية ، كيف

(١) ٧ ايلول كبيره غروب نقطة ٣

(٢) مدائح . قانون .

(٣) افشين نوم الصغرى .

(٤) ٩ ك قانون ٧-٣

(٥) ١٥ آب قانون اودية ٦-٢

(٦) ٨ ايلول ابر شيخن قطعة ٣

(١) ٢١ ت ٢ كتي ثانية .

(٢) ٢١ ت ٢ نامة ١ *Mozzia T. II.* P. 233.

(٣) ٩ ك ١ قانون ثاني ١-٢

(٤) ٢٠ ت ٢ قانون ٦-٥

(٥) ٩ ك ١ قانون اودية ٣-٢

تكون خاضعة للخطيئة الاصلية والخطيئة هي اللعنة وهي الفساد ؟ وقد دعاها الشرء. ينبوع عدم الفساد وتجديد آدم والتي بها تألّها ونجونا من الموت الروحي. كيف تكون ينبوع النعمة و «موزعة النعم»^(١) كما يدعوها يوحنا الدمشقي اذا كانت الخطيئة الاصلية قد اقتربت من نفسها او جسدها ولو لحظة واحدة وهذا الامر لا يكون لان الله يحب أمه وقد تدخل بنوع خاص وبانعام منه ومنه الهية تدخل ليقس الجبل بها لانها ستكون بالحقيقة ام الله . وام يسوع السيد وطيب الحياة . وقد هاها بلاطاً لانقاً به فتصبح بالحقيقة على حسب كلام الليتورجيا ابنة الله (θεοτετα) الكلية القداسة والفردوس الذي غرسه الله والحذر الكلي الجمال وعرش الله الهى الذي استقر فيه بالجسد . فكل هذه الأوضاع التي استعملها الآباء والشرء. والكتاب في تسمية مريم العذراء بريئة من العيب تدل بوضوح على سلامة المعتقد في الكنيسة اليونانية ورسوخ هذا الايمان فيها وتدل بنوع كاف على فكرة الجبل البري. من وصمة الخطيئة الاصلية كما فهمتها الكنيسة الكاثوليكية في تمحيدها القانوني وايمانها الراسخ .



LA VIERGE MARIE

DANS LA LITTÉRATURE MÉDIÉVALE DE L'ARMÉNIE

PAR LE

PÈRE JEAN MÉCÉRIAN S. J.

Au moyen âge il y eut chez le peuple arménien une renaissance littéraire et artistique qui a suivi de près le relèvement politique et la prospérité économique des régions qu'il habitait.

Cette renaissance, commencée au dixième siècle dans le cœur du pays, interrompue pour un temps par l'invasion seldjoudide, reprit avec un élan nouveau sur deux fronts à la fois, mais en marge plutôt que dans le centre du pays. Ce fut au Nord-Est de l'Arménie, sur les marches frontières transcaucasiennes sous l'égide de la Géorgie, et, au Sud-Ouest du pays, en Cilicie arménisée, sous l'impulsion de dynastes émigrés et au contact des Byzantins et des Francs.

Dans la pléiade des écrivains illustres de l'époque je retiens deux noms, ceux de deux docteurs dont la plume a exprimé sur la Vierge Marie, Mère du Verbe incarné, les sentiments les plus véhéments et les plus tendres unis à une exacte doctrine théologique. Ce sont deux saints, Grégoire de Narek et Nersès de Lampron, dont je voudrais présenter la pensée aux lecteurs de notre revue, à l'occasion de l'année *mariale*; et pour rendre plus palpable la portée du témoignage de ces deux serviteurs de Marie, je dirai d'abord quelques mots sur la vie de chacun d'eux.

CHAPITRE PREMIER

SAINT GRÉGOIRE DE NAREK

I. — L'HOMME



Extrait d'un ms. arm.

Cet homme, surnommé le *Pindare arménien*, a résumé et réalisé en sa personne l'idéal ascético-mystique et poético-littéraire de la nation arménienne. Et pourtant nous ne savons rien de sûr ni sur la date de sa naissance, ni sur celle de sa mort. La Diaspora arménienne a célébré naguère le millénaire de sa naissance, en s'appuyant sur des dates traditionnelles qui se sont avérées inexactes. Grégoire a dû naître au plus tôt en 940 et au plus tard en 949; la première limite est suggérée par des considérations d'âge, tandis que la seconde s'appuie sur une donnée historique: le père de notre futur saint, lui-même homme docte et influent, est déjà mentionné comme évêque en l'an 950. Quant à la mort de notre saint, elle a dû avoir lieu entre les années 1009 et 1011. Tout jeune privé de mère, Grégoire fut confié, ainsi que son frère aîné Jean, aux soins de l'abbé du monastère de Narek situé sur un mamelon au Sud du lac de Van; à une faible distance au Nord du monastère s'étalait donc un splendide panorama vers les rives, les eaux et les îles de ce beau lac situé à 1650 mètres d'altitude.

L'abbé du monastère était proche parent des deux jeunes disciples à lui confiés. Il comptait, tout comme

leur père et d'autres membres de la famille, parmi les lettrés et les spirituels de l'époque. D'ailleurs c'était la première étape de la renaissance arménienne. Dans les deux royaumes arméniens reconstitués sous la suzeraineté du Califat abbasside en déliquescence, dans la province du Schirak (au Nord du Mont Ararat) comme dans le Vaspourakan (autour du lac de Van), on réparait les monastères anciens, on en bâtissait de nouveaux; des moines arméniens refluèrent des territoires byzantins vers leur patrie en voie de renaissance; ils apportaient avec eux, avec l'amour des études, le goût des lettres grecques remis en honneur dans les territoires de l'empire. L'influence byzantine fut particulièrement sensible au monastère de Narek par l'adoption de la doctrine chalcédonienne sur les deux natures de Jésus Christ et par un goût marqué pour l'étude de la langue grecque.

C'est dans un tel milieu que grandit et vécut notre moine Grégoire. Il fut chargé à son tour de la formation intellectuelle et spirituelle de ses jeunes confrères. Sa sainteté était universellement reconnue au dehors et à l'intérieur du monastère. Mais son prestige et son zèle de réformateur, plus encore sa communion de foi à l'Église byzantine et par là même à l'Église universelle, — dont la Byzantine n'était pas encore séparée malgré le schisme passager de Photius —, excitèrent la jalousie de quelques confrères. Il fut dénoncé aux évêques et aux princes comme *dzayth*. Si l'étymologie de ce mot reste incertaine, le sens en est clair; Grégoire était traité d'hérétique.

Les traditions populaires racontent de gracieuses légendes pour montrer comment ses détracteurs furent confondus. Qu'il me suffise de mentionner la cantilène composée quelque 300 ou 400 ans plus tard par le troubadour Hovhannès de Telgouran. Après avoir rapporté une résurrection opérée par le saint accusé, la cantilène continue comme suit:

*La renommée de ce miracle de Grégoire arriva jusqu'à Sis :
« Il est un docteur au village de Narek qui ressuscite les
[morts]. »*

*Trois archimandrites, tous trois de la ville de Sis,
Se mirent en route pour aller voir ce saint docteur.*

*Ils le rencontrèrent sur la montagne où il faisait paître ses
[moutons,*

*Il était un peu myope ; les trois hommes se regardent et se -
[mettent à rire.*

*Grégoire avait l'âme sainte, il saisit leur pensée intime ;
« Seigneurs, dit-il, excusez-moi, je suis le disciple du Docteur ».*

*Sept loups étaient assis au sommet de la montagne et lorg-
[naient les moutons ;*

Il appela les loups et leur ordonna de garder les moutons.

*Il prit les bâtons des archimandrites et ils se dirigèrent vers
[sa cellule.*

*Il saisit trois pigeons — c'était un mercredi, jour maigre —,
Il les prépara et rôtit et les mit devant ses hôtes ;*

« Allons, mes bons hôtes, goûtons à ce bon plat ».

*Les trois se regardèrent et se posèrent le doigt sur les lèvres ;
« Seigneur, excuse-nous, aujourd'hui c'est mercredi, jour
[maigre ».*

*— « Mangez, mes bons hôtes, ou donnez-leur l'ordre de
[s'envoler ».*

Les trois archimandrites restèrent stupéfaits à ces mots. . .

Grégoire s'avança, invoqua le Dieu vivant,

Etendit sa droite et toucha les oiseaux.

*Les pigeons ouvrirent leurs ailes et voltigèrent sept fois sur
[la tête du Docteur ;*

Le saint Docteur les bénit, et ils allèrent rejoindre leur essaim.

*Les trois archimandrites tombèrent aux pieds du saint Doc-
[teur ;*

« Tu mérites bien, lui dirent-ils, les éloges que mille bouches
[faisaient de toi ;
« Nous irons porter la nouvelle au patriarche de Sis ;
« Ce qu'on dit de toi est donc bien vrai : tu ressuscites les
[morts ».

Ne regardons pas de près à l'anachronisme commis par cette cantilène : vers l'an 1000, époque de Grégoire de Narek, il n'y avait pas encore de patriarche à Sis, future capitale du futur royaume de la Cilicie arménienne. Mais admirons-y la naïve grâce du François d'Assise de l'Arménie, apparu environ deux siècles et demi avant celui de l'Italie (1182-1226).

Tel se montre bien à nous le moine arménien Grégoire dans quelques *Hymnes*, *Panégryriques* et dans son *Commentaire du Cantique des Cantiques*. Mais il n'est pas que cela, précisément dans son ouvrage principal qu'est son *Livre d'Elégies* ; il s'y présente plutôt comme un condamné qui, en se cramponnant de toutes ses forces à quelque planche de salut, refuserait d'entrer dans l'Enfer de Dante. Cette planche de salut est, après la miséricorde sans bornes du Christ Rédempteur, la très sainte Vierge Marie, sa mère, dont une Hymne et un Panégryrique chantent avec ravissement l'excellence et la beauté. D'ailleurs l'*Hymne* et le *Panégryrique* sont tout embaumés du parfum du *Cantique des Cantiques*.

On sait par les mémoriaux ajoutés à ses œuvres que son commentaire sur ce dernier ouvrage est une œuvre de jeunesse à laquelle ont dû succéder ses Hymnes. Nous savons d'autre part que son Panégryrique de Marie a précédé de quelque vingt ans son livre d'Elégies composé à son tour vers la fin de sa vie. Le contenu et le ton même des morceaux que je vais présenter semblent bien correspondre à l'évolution psychologique de la forte personnalité de notre saint moine.

II. — L'HYMNE DE LA THÉOPHANIE

Les Hymnes de saint Grégoire de Narek sont de courts poèmes d'allégresse juvénile et candide, retrouvant à travers le courant optimiste des Pères Grecs, spécialement des Pères Cappadociens, qu'il semble avoir beaucoup fréquentés, la saveur des plus antiques chants nationaux des bardes d'Arménie. Quel amour de la nature chez ce mystique et avec quelle fraîcheur il la décrit ! La nature constitue pour lui un tout vivant, doué d'un sublime symbolisme. Elle est la lyre de Dieu ; vraiment pour lui *les cieux chantent sa gloire*. Mais la lyre par excellence est le cœur de l'homme pour qui tout a été fait. Et sa lyre à lui, le jeune moine Grégoire sait qu'elle ne vibre qu'au toucher de Dieu, du Christ et de sa Mère toute vierge. Cela transparait magnifiquement dans son chef d'œuvre parmi ses Hymnes qu'est *son poème sur la Nativité du Sauveur et sur l'Épiphanie*. L'ancien rituel arménien associe ces deux fêtes le même jour (6 Janvier) avec le souvenir du Baptême du Christ : c'est la triple *Théophanie*, comme disent les Saints Pères. Dans ces mystères, dans lesquels le Fils et sa Mère Vierge sont intimement unis, la pensée de notre poète se développe en quatre étapes.

Le poète commence par décrire l'hymen de la nature au printemps, quand la rosée se dépose sur les feuilles des arbustes et que le soleil, descendant sur les gouttelettes, les fait scintiller. Ainsi a fait le Fils de Dieu, lumière de gloire, soleil d'amour, qui par amour est descendu dans le sein de Marie la Vierge, s'unissant à elle dans cet ineffable mystère.

Quelle est donc celle qui fut choisie pour un tel mystère ? Le poète la décrit, la Vierge choisie, sans en oublier ni les yeux, ni les tresses de cheveux autour de ses joues, ni les lèvres et les seins, ni la tunique et la ceinture, ni la légère et gracieuse démarche. Tout cela est dit avec un réalisme candide qui risquerait de nous

étonner, si saint Paul ne nous en avait déjà prévenu : *Omnia munda mundis*, tout est pur aux purs. Notre poète lui-même confirme le dire de l'Apôtre, car, au lieu de terminer logiquement cette seconde étape de sa pensée par quelque mot ardent sur la Vierge idéale qu'il vient de décrire, il remonte d'un coup d'aile à la source même d'où découle cette beauté, en disant :

A ce Roi, à ce Sauveur nouveau-né,

A celui qui t'a couronnée, gloire éternelle!

Maintenant qu'il a uni dans la même sublime destinée le Fils et sa Mère, Grégoire va de l'avant avec audace; il décrit Marie devenue Epouse céleste, puisque Mère, par les mots mêmes du Cantique des Cantiques, auxquels il recourt pareillement de suite après, pour décrire le Roi né à Bethléem, visité par les bergers et adoré par les mages, Christ béni de tous dans les siècles des siècles.

En présence de *la bonne nouvelle* de ce grand mystère qui s'est révélé, du mystère de la splendeur du Père se manifestant à travers une essence née de la chair et de l'argile, notre poète ne tient plus: il annonce *la bonne nouvelle*, en répétant toujours le même mot, à tous les êtres associés au mystère de la Théophanie. *A Marie tout d'abord, Mère du Seigneur, bienheureuse, semblable aux séraphins, siège des chérubins, suprême clarté proche de la Trinité, astre de lumière évoluant dans les hauteurs; mille et mille êtres scintillent et brillent dans ton faisceau lumineux; (mais) menu et discret sentier, tu conduis vers la voie de l'Inconnu. Bonne nouvelle à toi, Mère du Seigneur, Vierge Marie, temple du Verbe.*

Le cœur du poète déborde à présent, il crie la «bonne nouvelle» tour à tour à la maison d'Adam dont la malédiction fut levée en ce jour; aux patriarches, aux prophètes, à Bethléem. Ici, visuel et émotif à la fois, Grégoire passe de suite à la nature matérielle: *Bonne nouvelle aux fleurs qui souriantes éclosent sur les arbres et qui*

avec leurs belles couleurs annoncent les fruits agréables à la vue, doux au goûter ; bonne nouvelle aux bouquets serrés, qui répandent un parfum réjouissant ; la pointe de leurs roses s'ouvre gracieuse, leurs pétales s'étendent radieuses au milieu de la verdure de leurs feuilles drues. Jean le Précurseur, qui avec sa mère a embrassé et adoré le Christ, est lui-même saisi d'émotion et, comme un enfant, court et confie la bonne nouvelle aux sources mêmes des multiples courants d'eau, qui, bruissants et souriants, tantôt en filets à travers les méandres du sable, mais bientôt grossis par leurs mélanges, se précipitent vers le Jourdain à travers monts et vaux.

Dès lors bonne nouvelle au Jourdain et au Précurseur qui crie dans le désert. Jean se la répète à lui-même la bonne nouvelle que ses mains vont baptiser le Seigneur et redit son invitation aux noces du Saint Epoux. Encore *bonne nouvelle au Jourdain dont les eaux réchauffées dans leur course à travers les rochers brûlants de l'Hermon et du Sanir fendent profondément la mer elle-même dans leur chute, mais se retournent aussitôt pour voir le Christ au baptême. Bonne nouvelle à l'univers ; aux fils des hommes, formés d'argile, qui virent aujourd'hui l'Esprit sous la forme d'une colombe. Bonne nouvelle, car aujourd'hui s'est révélé le mystère de la Sainte Trinité. Chantons toujours : «le Christ est béni éternellement».*

Tout cela est dit avec une tendresse ravissante et dans un langage fort bien adapté : on dirait une délicieuse musique où pensées, sentiments et expression s'allient merveilleusement.

III. — PANÉGYRIQUE DE LA THÉOTOKOS

Le Panégyrique consacré à Marie par saint Grégoire de Narek est aussi un poème, mais un grand poème jailli d'une poitrine au souffle puissant. La doctrine de l'Incarnation y est approfondie sous ses divers aspects et cela n'est que le fondement, l'occasion pour exalter et chanter l'exceptionnelle dignité et la magnifique beauté de la Vierge Marie, Mère de ce Verbe Incarné. Ici en-

core tout cela est dit avec une tendre piété dans un style sublime soutenu.

Il me semble reconnaître dans la marche du panégyrique une certaine ressemblance avec le poème grec qu'est l'*Hymne Acathiste*, si célèbre dans toutes les églises de rite byzantin. Je crois voir dans les deux pièces un procédé analogue de composition, de développement de la pensée et même la répétition du même mot: *Réjouis-toi*. Une brève analyse du Panégyrique, avec quelques allusions à l'Hymne byzantine, prouvera suffisamment, me semble-t-il, cette assertion que je me permets d'avancer. Cela confirmera du reste mon opinion sur la pénétration de l'influence byzantine dans la région du Vaspourakan et sur la connaissance de la langue grecque chez saint Grégoire de Narek. Nous devons seulement avoir présent devant les yeux le fait que l'Hymne Acathiste est, malgré sa longueur, une suite de strophes, donc *en vers*, destinées à être chantées et même chantées debout, tandis que le travail de Grégoire est un panégyrique, à savoir un long discours de circonstance *en prose*, quoique souvent en prose rythmée, avec des membres de phrases monorimes, imitant le procédé dès lors en vigueur dans les milieux persans et arabes; d'ailleurs notre écrivain accentuera son imitation vers la fin de sa vie et donnera à ce procédé un tour personnel qui sera la marque distinctive de son style dans son *Livre d'Elégies*.



Dans un exorde solennel et quelque peu contourné, notre panégyriste avance que la Vierge Marie, Mère de Dieu, mérite les louanges les plus exceptionnelles, mais que c'est là chose fort malaisée que n'osent entreprendre même les chœurs angéliques comme Elle le mérite. Marie, en effet, *a contenu sous son toit fait de terre Celui qui est inaccessible aux êtres de feu ; Elle a enveloppé par les liens palpables de son corps Celui qui est indicible aux séraphins ;*

Elle, de ses mamelles, a allaité Celui qui nourrit les chœurs des anges. Quel chant peut donc être assez digne pour bénir et honorer le réceptacle de l'Invisible et le salon du Magnifique, le tabernacle du Seigneur et le pavillon de la Divinité, la coupe du banquet incorruptible, le sanctuaire de la pureté et l'autel de la chasteté, le prototype de la virginité et le modèle de la béatitude, le foyer indissoluble de l'Époux intemporel et la demeure où se complait la Divinité incréée. Mais puisque la Terre fut associée au Ciel pour porter le Dieu-Sauveur, chœurs célestes et chœurs terrestres, formons ensemble un seul chœur et chantons en délire.

Le reste du Panégyrique, à savoir tout le corps du discours, est en fait un chant adressé directement à la Vierge-Mère du Dieu Incarné, ayant environ 24 paragraphes d'inégale longueur. Six de ces paragraphes commencent par le mot: *Réjouis-toi*, et tous commencent ou se terminent par l'épithète fondamentale de Marie: *Mère de Dieu, Mère du Seigneur, Mère de Jésus, Mère du Christ*. Ne peut-on pas voir dans les particularités que je viens de signaler quelque indice de la connaissance de la part de notre panégyriste de l'Hymne Acathiste qui se compose aussi de 24 strophes, dont les strophes impaires se terminent toutes par une litanie de treize vers, treize *ἤξις*, *Ave, Salut*, et mieux en arabe: *افرحي* le treizième vers de la litanie étant toujours le même: *ἤξις ἡ ὑμῶν ἡ ἀειμήνη*, *Ave Sponsa innupta*, *افرحي يا عروسة لا عروس*



Ici je suis embarrassé pour résumer cet épithalame de la Vierge exhaussée à la Maternité du Fils de Dieu, des épousailles du Verbe divin avec la nature humaine, avec Marie elle-même dans les chastes entrailles de cette Vierge prédestinée, et de tout ce qui, de cette union, a découlé des plus intimes et des plus touchantes relations entre la Mère et son Enfant qui est le Dieu-Sauveur. La piété et la tendresse dont déborde le dis-

cours du moine arménien de l'an mille fusionnent si spontanément avec la profondeur doctrinale et l'inspiration poétique que l'on serait tenté d'en reculer la composition deux ou trois siècles plus tard, vers les âges d'un Saint Bernard de Clairvaux, d'un Saint François d'Assise ou d'un séraphique Saint Bonaventure. J'y glane quelques fragments entre des centaines; comme ils sont intraduisibles!

Après avoir rappelé que le Fils de Dieu devenu homme s'est approprié le trône de David son père, — dont la maison est l'univers et sa ville, la terre entière — et que par l'œuvre de la croix Il a rétabli le temple primitif détruit en Adam, le panégyriste continue:

«Or, Toi seule; Madone bénie, Sainte Théotokos, Tu fus apte à recevoir et à distribuer tant et de si grands bienfaits et, par ta chaste virginité, Tu fus l'encensoir de l'Etre suprême. Car, comme une mixture d'oliban, de myrrhe, d'acacia et de fins parfums, attisée au feu de la pureté, Tu offris à l'odorat divin et à l'agrément du Père la fumée toute odoriférante de la sainteté, Toi, qui es, ô Sainte Mère de Dieu, pure dans ta vie, pleine de bonté, établie dans la mansuétude, parfaite en vertu et ruisselante de douceur.

«Réjouis-toi, ô Marie, d'un élan total, heureuse entre les femmes, Toi qui, de ton sein virginal et inviolé, as engendré le Verbe, racine de bénédiction contre les maux de la malédiction, fils de joie du Père Adam: C'est pourquoi nous, bénis en ton Fils Sauveur du monde, nous Te rendons grâces et nous Te proclamons bienheureuse, ô Sainte Théotokos!

«Toi, en ce bas monde, Tu as allaité et nourri de ton lait maternel le fils véritable du Père de lumière; Toi, Tu as enveloppé et gardé avec soin comme sous des ailes Celui qui contient tout. Le cours de ta vie présente, Tu l'as dirigé suivant la voie



مولد العذراء مريم - (القرن الرابع عشر)
(مشفق نوفجورود)

de la vie lumineuse (de l'au delà) ; et, à la ressemblance d'un oiseau dans les airs, Tu t'envolas de cette vie passagère ; et, au milieu des chœurs des anges, Tu te manifestas comme tenant la Divinité. Sur un nuage de lumière et honoré par eux Tu fis ton ascension, et créature faite de terre, Tu reposas au milieu des chœurs des chérubins ; par toutes les ravissantes beautés du Paradis, Tu fus reconnue Etoile du matin, et, sous une nature humaine palpable, Tu fus cachée dans le mystère de la grâce ineffable.

Le panégyriste continue ses élévations en approfondissant, toujours du même accent poétique, le mystère inénarrable et inimaginable de l'Incarnation, et partant de la Rédemption, dans lequel le Fils et la Mère sont associés si intimement et si gracieusement.

IV. — LA PRIÈRE DU DÉSESPÉRÉ

Saint Grégoire de Narek a aussi composé vers la fin de sa vie, comme nous l'avons dit, un *Livre d'Elégies* ; nous l'appellerions plutôt un *Livre d'Elévations*, connu jusqu'à nos jours sous le nom de *Narek* tout court, du nom du couvent où notre Saint fut moine et maître de novices. Ce livre a été vénéré jusqu'au début du XX^{ème} siècle, pendant que le peuple arménien vivait dans sa patrie ancestrale, à l'égal des Évangiles, pour ne pas dire plus. On le plaçait au chevet des malades ; on en lisait certains chapitres sur les infirmes, les moribonds, sur les gens atteints d'insomnie, et aussi sur les champs de culture pour les préserver contre les fléaux.

La teneur générale de ce Livre d'Elégies, l'accent tout spécial qui donne un cachet propre à ces élévations sont tellement différents de la fraîcheur et de l'optimisme révélés par les écrits analysés jusqu'ici que l'on est tenté d'en attribuer la paternité à un auteur différent. Malgré cette difficulté et celle que présentent les colophons (mé-

moriaux) des divers ouvrages, nous reconnaissons à tous pour père Grégoire de Narek, sans nous attarder ici à étayer notre point de vue.

Les quatre-vingt quinze pièces ou prières dont se compose cet ouvrage sont déroutantes au premier abord et difficiles à saisir. En des périodes tumultueuses, dans un langage rythmé et même souvent rimbé, comme nous l'avons dit à propos du Panégyrique, les mêmes pensées, les mêmes sentiments se répètent sous des formules nouvelles; plutôt ils dévalent devant nous comme un torrent, en des images, en des tableaux d'un saisissant réalisme. Ces *Élégies* sont le dialogue d'une âme exceptionnelle avec son Maître et Seigneur Dieu, avec qui elle a un procès à débâtre, le procès de la vie ou de la mort éternelle, dont la sentence irrévocable est prononcée pour chaque personne, donc aussi pour Grégoire, non seulement au grand jour du jugement dernier, mais encore à l'instant de la mort individuelle.

Grégoire sait cela et il sait de plus, au point d'en être obsédé, que lui-même est à la fois corps et âme, que le péché comme Satan le tentateur sont des réalités qui mettent constamment en danger sa vie éternelle, plutôt son union amoureuse avec Dieu pour toujours.

Que faire donc? Se décourager et désespérer? N'y a-t-il point un motif d'espoir? — Si, répond Grégoire, puisque l'accusateur n'est autre que le juge lui-même et que ce juge, le Christ Sauveur, est toute bonté, toute miséricorde. N'a-t-il pas pardonné à Salomon, à Manasseh, à Pierre...? Pourquoi ne pardonnerait-il pas également à lui Grégoire? D'ailleurs pourquoi menace-t-Il, si ce n'est par miséricorde et par amour, afin d'empêcher la défaillance? Dès lors lui Grégoire espérera en la miséricorde de Dieu, plutôt il montera plus haut, à l'exemple des plus grands saints, jusqu'à la charité parfaite, non point par crainte de l'enfer, mais par amour pour son Créateur et Seigneur, non point par désir du don qui l'attend, mais par amour du donateur

lui-même qu'il supplie avec un accent déchirant de le garder uni à Lui.

C'est lors d'une des plus fortes crises de frayeur et de désespoir, disons mieux d'amour ardent, que Grégoire, pourtant si innocent, si saint, «ange revêtu de corps», comme dira de lui Saint Nersès de Lampron, poussera vers la Vierge toute sainte, mère de son juge, les cris que voici d'une si poignante et si confiante supplication. C'est l'élévation 80ème que je reproduis tout entière. J'en emprunte la traduction rythmée à un ouvrage encore inédit préparé par un jeune père jésuite arménien, le P. Isaac Kéchichian, qui a traduit en français toutes les prières du Narek et de ses traductions a imprimé la présente prière à la Vierge (80ème) ainsi qu'une prière au Christ (la 41ème), dans la revue *Proche-Orient Chrétien*, 1953.



I.

*A présent, devant tant de motifs de-désespoir,
et de durs brisements de cœur,
devant la rigueur terrible des colères divines,
l'esprit plongé dans une extrême désolation,
c'est toi que je supplie, Sainte Mère de Dieu.
Ange issu des hommes,
Chérubin revêtu d'une chair visible,
Reine du ciel,
limpide comme l'air,
pure comme la lumière,
immaculée telle une fidèle image de l'Etoile du matin
au plus haut point de son essor.
O plus sacrée que la Demeure impénétrable du Saint des Saints,
Lieu de l'heureuse Promesse,*

vivant Eden,

*Arbre de la Vie immortelle, gardé de tous côtés
par l'épée flamboyante.*

*Toi qui as été fortifiée et protégée par le Père Très-Haut,
préparée et consacrée par l'Esprit qui s'est reposé sur toi,
embellie par le Fils qui a habité en toi et qui l'a rendue son
tabernacle :*

*Le Fils unique du Père est devenu ton Premier-né :
ton Fils par la naissance et ton Seigneur par la création.*

*Avec ta pureté sans souillure et sans tache, tu es bonne ;
avec ta sainteté immaculée, tu es une Avocate tutélaire.*

*Reçois de moi qui t'acclame cette prière de supplication,
Présente-la, offre-la (à Dieu) en y joignant mon ancien Discours
dans lequel je faisais l'éloge de tes grandeurs,
dans les prières que je t'adressais (1).*

*Entrelace, unis en elle mes soupirs amers de pécheur
avec tes demandes bienheureuses et au parfum d'encens,
ô Plante de vie du Fruit de bénédiction,
afin que par toi toujours secouru et comblé de tes bienfaits,
ayant trouvé refuge et lumière auprès de ta sainte Maternité,
je vive pour le Christ, ton Fils et Seigneur.*

2.

*Assiste-moi par les ailes de tes prières,
ô toi qu'on proclame Mère des vivants,
afin que, à ma sortie de cette vallée terrestre,
je puisse sans tourment marcher vers la demeure de vie,
qui nous a été préparée,*

(1) Allusion au Panégyrique de la Théotokos que nous avons présenté dans les pages précédentes.

pour que soit rendue légère la fin d'une vie,
 alourdie par mon iniquité.
 Change pour moi en fête d'allégresse mon jour d'angoisse,
 Guérisseuse des douleurs d'Eve!
 Sois mon Avocate, demande, supplie :
 car comme je crois à ta pureté indicible,
 voici que je crois aussi au bon accueil qui est fait à ta parole.
 De tes larmes aide-moi, moi qui suis dans le péril,
 ô toi, Bénie entre les femmes.
 Fléchis le genou pour obtenir ma réconciliation,
 ô toi, Mère de Dieu.
 Aie souci de moi qui suis malheureux,
 ô Tabernacle du Très-Haut.
 Tends-moi la main dans ma chute, ô Temple céleste.
 Glorifie ton Fils en toi :
 qu'Il daigne opérer divinement en moi
 le miracle du pardon et de la miséricorde,
 Servante et Mère de Dieu :
 que ton honneur soit exalté par moi,
 et que mon salut se manifeste par toi !

3.

(Il en sera ainsi) si tu réussis à me retrouver, ô Mère du
 Seigneur ;
 si tu as pitié de moi, ô Sainte ;
 si dans ma perdition tu me recouvres, ô Immaculée ;
 si dans ma frayeur tu m'accueilles, ô Bienheureuse ;
 si, dans la honte où je suis, tu me fais approcher, ô Toute-
 Gracieuse ;
 si, coupé que je suis de tout espoir, pour moi tu intercèdes,
 Vierge toujours sainte ;

si de l'exil tu me fais rentrer dans la Famille, ô toi que
Dieu a exaltée ;
si à mon égard tu montres la compassion, toi qui romps les
liens de la malédiction ;
si dans mon agitation tu me tranquillises, ô Repos ;
si le trouble de mes émotions, tu le changes (en paix), ô
Pacificatrice ;
si de mon égarement tu me donnes le moyen de revenir, ô
Louée ;
si pour ma défense tu entres en lice, toi qui fais reculer la
mort ;
si mes amertumes, tu les adoucis, ô Suavité ;
si tu abolis la distance qui me sépare (de Dieu), ô Ré-
conciliation ;
si mes impuretés, tu les enlèves, ô toi qui foules aux pieds
la corruption ;
si, livré que je suis, à la mort, tu me délivres, ô Vivante
Lumière ;
si la voix de mes sanglots, d'un seul coup tu l'arrêtes, ô
Allégresse ;
si, alors, que je suis terrassé, tu me redonnes de la vigueur,
ô Remède de vie ;
si dans ma ruine tu jettes un regard sur moi, ô Pleine de
l'Esprit ;
si avec miséricorde tu viens à ma rencontre, toi qui en legs
(nous) fut donnée.
O toi qui n'es bénie que par les lèvres immaculées des
bouches bienheureuses,
voici qu'une seule goutte de ton lait virginal,
tombée en pluie sur mon âme,
me redonne force et vie,

*Mère du très-haut Seigneur Jésus, Créateur du ciel et de
la terre entière,
que, d'une manière indicible tu as enfanté avec toute son
humanité et toute sa divinité,
Lui qui est glorifié avec le Père et l'Esprit-Saint
en son Essence et en notre nature qu'Il s'est unie d'une
manière inscrutable,
Lui qui est tout et en toutes choses,
Un de la Trinité;
à Lui gloire dans les siècles des siècles! Ainsi soit-il.*

CHAPITRE SECOND

SAINT NERSÈS DE LAMPRON



Extrait d'un ms. arm.

A l'inverse de saint Grégoire de Narek, saint Nersès de Lampron, autre docteur médiéval, est un homme d'action, mais non moins dévot à la Vierge Marie et non moins tendrement éloquent, comme en témoigne le Pannégryque prononcé par lui un jour de fête de l'Assomption.

Nersès fut certes un homme d'action, à l'égal de saint Bernard, son contemporain occidental. Prêtre à seize ans, supérieur de couvent et archevêque de Tarse

à vingt trois ans, Nersès passa une grande partie de sa

vie «à cheval», comme l'a dit un récent essayiste. Il fut occupé en pourparlers ecclésiastiques et diplomatiques, — autre trait de ressemblance avec saint Bernard —, avec les Byzantins, les Francs, les Syriens et ses propres compatriotes. Il était toujours sur la brèche pour les prédications et les œuvres charitables. Mais cet homme était aussi, de nouveau comme l'abbé de Clairvaux, tiraillé par un désir intense de solitude, d'étude, de prière et de contemplation, auxquelles il se livrait durant tout le temps que lui laissaient ses travaux apostoliques, plus exactement durant les intervalles considérables qu'il dérobaient à son temps de sommeil et de nourriture. Dès lors usé avant le temps par ses veilles, ses mortifications, les voyages et non moins encore, par les soucis, les contradictions et les déceptions, cet homme extraordinaire mourut à l'âge de quarante cinq ans le 14 juillet 1198.

Une anecdote doit être rapportée ici qui explique l'exorde de son panégyrique et la tendresse de son accent. Né en 1153 (nous avons tout récemment fêté le VII^{ème} centenaire de sa naissance) dans le château de Lampron (au flanc du Taurus qui domine à l'Ouest la plaine de Tarse en Cilicie), fils d'un des plus puissants seigneurs arméniens émigré du Caucase et engagé au service de l'empire byzantin, le jeune Nersès avait été précédé deux ans plus tôt au berceau de famille par un enfant mâle. Aussi lui, avait-il été voué par ses parents au service de Dieu dès avant sa naissance. L'enfant vint au monde, «mais d'un visage si beau, nous dit son biographe contemporain, que ses parents violèrent leur vœu. Il ne faut pas, se dirent-ils, priver cette beauté si remarquable des jouissances du monde. Qu'il reste dans l'héritage de sa principauté paternelle. Si Dieu nous accorde un autre fils, nous l'offrirons à Dieu à sa place».

Mais c'est ce fils que Dieu avait choisi pour son service. Aussi, une maladie mystérieuse survenue bientôt mit-elle la vie de l'enfant en grave danger. C'est quasi

mourant qu'il fut pris par sa mère dans ses bras et porté d'urgence à l'autel de Marie dans le monastère voisin de Skévra, apanage du château de Lampron. Dès qu'il fut offert à Dieu pour la seconde fois et pour de bon, l'enfant rouvrit les yeux. Il guérit, il grandit et devint saint Nersès de Lampron, archevêque arménien de Tarse, « nouveau saint Paul » au dire de ses contemporains, le réformateur du clergé, le promoteur de l'unité religieuse des Églises chrétiennes et le ferme appui de l'État arménien renaissant en Cilicie.

Aussi, bien des années plus tard, dès les premiers mots de son panégyrique, l'archevêque de Tarse se considérera-t-il *comme un cep de vigne planté par Marie au milieu des multiples rameaux du saint temple établi par Dieu*, et, aussitôt saisi par le souvenir de sa miraculeuse guérison, continuera-t-il en une prose rythmée et rimée, à la manière de Grégoire de Narek envers qui il avait une grande vénération :

A l'exemple de Samuel je suis offert

Et voué par mes parents à la Mère de Dieu.

Portant encore tablier, nourri au service du temple,

A sa voix éveillé en ce jour,

Je suis en cette fête envoyé comme un messager.

Restez donc près de moi, vous, peuple de Dieu, qui aimez
[cette fête,

Et attentifs soyez aux pensées, qui, en ce grand jour,

Jaillissent du cœur d'un serviteur propre et familier

De la très sainte et très bénie Vierge.

Et si dans mes dires quelque chose déplaît à votre sagesse,

Qu'à l'indulgence de votre volonté il soit livré,

Et qu'à l'accent de vérité de ma voix il soit examiné.

Aussi mon cœur, endurci comme une pierre,

Frappé par l'éclat de cette belle journée,

Laissera-t-il jaillir les étincelles qu'inspire son amour.

Tel est le préambule du discours prononcé par saint Nersès en l'honneur de Marie. Le titre même qu'il porte dans les manuscrits mérite d'être relevé : *Panegyrique en l'honneur de l'Assomption de la très bénie Mère de Dieu, prononcé par Nersès, à Elle consacré par la promesse de ses parents*. Les manuscrits semblent avoir conservé le titre donné par Nersès lui-même à son discours et justifié par son préambule. Le reste du discours, sans autre exorde, est en fait une vie de Marie, commencée à l'annonce même de sa divine maternité, lors de l'incarnation du Fils de Dieu dans son sein virginal, jusqu'au jour de sa glorieuse assomption. Notre panégyriste suit l'ordre chronologique des récits évangéliques et traditionnels, mais il a une manière à lui de présenter les faits : c'est un récit vivant d'un bout à l'autre, plus exactement *un mystère médiéval*, où les diverses anecdotes de la vie de Marie deviennent de ravissants tableaux introduits en discours indirect et qui se continuent en touchants dialogues entre la Vierge-Mère et les divers personnages de la scène en question. C'est dans cent petits détails des tableaux et dans maintes expressions des dialogues que se manifestent les vastes connaissances, la tendre piété et le talent oratoire de notre panégyriste. Je vais parcourir rapidement le discours, en y glanant quelques passages, sans pouvoir montrer les dialogues sous leur véritable relief de crainte de faire de trop longues citations.



L'orateur, doublé d'un théologien averti qu'est l'archevêque de Tarse, va d'emblée, de suite après son préambule, au point fondamental qui établit l'éminente dignité de Marie et requiert toutes les faveurs exceptionnelles qui lui furent accordées. C'est le fait de l'incarnation du Verbe dans son sein, comme nous l'avons déjà dit. Aussi est-ce par le tableau de l'Annonciation que Nersès commence son « mystère ». Le Verbe divin

est le créateur de la matière; mais à présent la matière à Lui offerte pour son incarnation, *est préparée et disposée par la Vierge inviolée, le champ non foulé. Elle, pures entrailles, vase plein de candeur, grappe de bénédiction, jardin fermé, fontaine scellée, tige fleurie de Jessé, Elle a fourni à la Sagesse divine de la matière pour bâtir le temple de son corps; Elle a procuré le mélange indicible de la nature sensible; d'Elle nous apprîmes le feu devenu terre, le Verbe devenu corps, la lumière unie aux ténèbres, Dieu fait homme...*

Le panégyriste énumère tous les contrastes réalisés dans le *Dieu fait homme pour sauver l'homme* et, en habile rhétoricien, confirme son exposé par les paroles du messager envoyé par Dieu lui-même, en exaltant la grandeur de Celui qui sera aussi Fils de Marie, pour amorcer de la sorte la question ingénue de jeune fille: *Comment cela se fera-t-il, puisque je ne connais point d'homme?* Nersès y répond en continuant à sa façon la réponse de l'ange nourrie des réminiscences bibliques:

Cela se fera, ô colombe candide, comme le rocher se fendit sans que l'homme intervînt, afin de te servir d'antétype. Cela se fera, ô chaste tourterelle, comme la tige fleurit pour te servir de modèle. Cela se fera, ô sainteté cachée, comme la toison se remplit de rosée, emblème de ta conception. Tu engendreras sans connaître d'homme, afin qu'Isaïe n'ait point menti dans ses prévisions...

Alors la Vierge Marie dilata ses desirs,

Et reçut en Elle le rayon parti du Haut des cieux;

Elle fit de son sein l'abri de l'essence ineffable,

Et le lieu où s'unirent les deux natures.

Le Verbe de Dieu s'unit à un corps de matière,

Et devint un homme créé à la manière d'Adam.

O grand mystère décrété dans les hauteurs,

Et l'œuvre admirable accomplie ici-bas sur terre :

Une Vierge devient Mère de l'Emmanuel,

Et la nature devient la source d'où transparait le Rayon du
[Père.

Voici que Nersès chante et commente cet ineffable mystère par la bouche d'Elizabeth « la vieille », — de la Vierge-Mère dont l'âme glorifie le Seigneur —, et par le rappel des emblèmes bibliques et des événements survenus en Judée. Alors Marie comprend toute la portée des paroles de l'ange et l'étonnante réalité accomplie dans son sein; et de suite après qu'Elle a enfanté,

De ses lèvres Elle baise le Dieu fait homme,

Et de ses mains Elle le caresse,

Et de sa bouche Elle lui parle :

— Emmanuel, Dieu fait chair, qui naquis de moi ta servante,

Permits-moi de presser mes mamelles,

Et de t'allaiter Toi qui nourris l'univers.

Marie amène l'Enfant au temple avec deux pigeons et les offre comme holocauste en retour de son fils. Après avoir écouté les paroles du vieillard Siméon paraphrasé par le panégyriste, Marie lui demande: *Comment savez-vous cela?* Siméon lui répond: *O Marie, il m'est impossible de vous montrer à vous sa mère l'honneur du Fils né de vous, car peut-être par crainte renonceriez-vous à l'élever et à l'allaiter, en vous rappelant la crainte des séraphins; mais sachez qu'il est votre Fils et qu'il rétablit la nature humaine dans sa gloire primitive et renverse le démon...* A la prophétie de Siméon qui prédit le glaive de douleur perçant son cœur, longuement paraphrasée en discours direct adressée à Elle, Marie se reconnaît humblement gardienne des grands mystères, obéit à l'ange et met en sécurité la vie de l'Enfant-en-prenant la fuite pour l'Egypte. Nersès sait la légende que les idoles y tombent de leurs socles à l'arrivée des hôtes de Judée.

Après le pèlerinage à Jérusalem, quand l'Enfant-Jésus fut retrouvé au temple, l'entretien de Marie avec son Fils est touchant. Marie prend Jésus dans ses bras et l'embrasse en pleurant de joie; les gens de sa parenté qui l'accompagnaient font de même.

« Cher fils, comment as-tu agi de cette sorte avec nous? Pour te cacher nous nous sommes enfuis en Egypte; pour mettre ta vie en sécurité, nous avons quitté notre propre patrie et nous avons émigré à Nazareth. Je frémis encore au souvenir du massacre des enfants de Bethléem. Cher fils, comment t'es-tu éloigné de nous? Dans l'angoisse nous te cherchions, car Archélaus a succédé à son père Hérode et il est aussi rempli de jalousie que lui. Cher fils, nous souffrions et nous te cherchions, car ces scribes et ces pharisiens avec qui tu parles furent bouleversés à ta naissance et ont appris à Hérode, en devinant grâce aux prophètes, comment te tuer. A présent tu m'es rendu d'entre les morts, échappé, cher fils, aux dents des bêtes. Viens, allons à Nazareth, car je crains que quelqu'un d'entre les princes, jaloux, ne te fasse de mal ».—Ayant entendu ces paroles, Jésus obéissant suivit ses parents à Nazareth et là, douce et affable, sa Mère conservait tout dans son cœur et s'adonnait aux soins de son Dieu en toute humilité.



Cette vie cachée de Marie à Nazareth ne pouvait échapper aux effusions du contemplatif que fut Nersès de Lampron. Quelle grandeur que celle de Marie! Car, si les séraphins sont appelés saints et le sont par le fait qu'ils servent *en serviteurs* et les chérubins sont appelés et sont *une effusion de la sagesse* par le fait que Dieu est en eux, quel rang plus élevé et de notre part quels honneurs plus grands ne mérite-t-elle pas, Marie, cette Mère de Dieu? Le Cantique des Cantiques fournit à notre pané-

gyriste les épithètes et les métaphores pour exalter Marie; ce sont réminiscences plutôt que citations—tant notre saint a ruminé ce *vade-mecum* des contemplatifs —, qui jaillissent agencées spontanément et expriment ses pensées.

Soixante sont les reines, sans compter tout le reste ; unique est ma colombe, ma parfaite, unique est la mère choisie pour sa naissance. Les jeunes filles l'ont vue, les reines l'ont proclamée bienheureuse et les concubines l'ont louée. En effet sur terre parmi les âmes éprises de Dieu, et au ciel parmi les anges sans nombre des sept chœurs en service, unique est la très bénie Vierge Mère de Dieu, comme est unique le soleil brillant au milieu de la foule des étoiles, arrivée par la grâce au degré suprême de la sainteté. Unique est la mère choisie (par Dieu) pour la naissance de son unique engendré; car, comme unique est son Fils premier-né parmi ses nombreux frères, unique est aussi sa Mère parfaite au degré suprême au milieu des âmes élues. Les filles de la Jérusalem céleste la virent et la déclarèrent bienheureuse à la vue de l'Essence inaccessible devenue le fruit de ses entrailles; mais encore les reines de toutes les églises ouvrent leurs bouches aujourd'hui et la bénissent et la louent sur tous les points de la terre. Car Elle fut l'Orient du Soleil de justice, le champ du germe de la vie, le cep de la coupe d'immortalité, l'arbre du fruit béni, le réceptacle de la nature indicible, la terre où la lumière se revêtit (d'humanité), le tabernacle dont Dieu devint l'hôte, la mère qui engendra l'Emmanuel et à qui obéit celui-ci. Car, comme le Père, à cause de son obéissance jusqu'à la mort, l'a élevé au-dessus de tout nom et lui accorda d'être adoré et glorifié par tous; et le Christ ne s'est pas honoré lui-même, mais il a accepté l'honneur que lui donnait le Père en lui disant: «Asseyez-vous à ma droite»; de même fit sa Mère vierge: Elle mit

en avant son Fils pour faire son premier miracle dans le monde, en obéissant à Celle qui lui avait donné le jour...».

Notre panégyriste commente finement le récit évangélique des noces de Cana, afin de mieux prouver la grandeur de Celle, de sa mère, sur les ordres de qui le Christ Jésus avait fait son premier miracle. Ensuite Marie suivait son Fils partout sur les lieux de son apostolat et le soignait tendrement, tandis que Jésus l'honorait toujours et lui obéissait. Ainsi en fut-il jusqu'aux jours de la Passion.



L'épisode de la Passion devait sans doute inspirer à l'auteur du «mystère» que nous présentons un accent plein de tendresse, mais combien plus dignement, à l'exemple des pleureuses, ou plutôt de la femme qui principalement porte le deuil lors des funérailles d'une personne. Marie commémore divers épisodes où le Christ semait les bienfaits et quelles avanies au contraire ne reçoit-il pas à présent.

«Qu'est-elle devenue ton annonce, ô ange Gabriel, car, voici qu'à la place du roi David, c'est mon fils que je vois couronné d'épines ; à la place du trône de David, c'est une croix qui est là avec mon fils innocent pendu, et je deviens folle à cet affreux spectacle...».

«Mon Fils Jésus, pour quel péché de ta mère vierge es-tu ainsi puni, Toi mon unique ? Quelle dette paies-tu ainsi étendu sur le bois, Toi mon premier né ? Vierge je t'ai engendré et avec un juste gagne-pain je t'ai nourri. Mon Fils, Tu as besoin d'une goutte d'eau et Tu cries de soif et moi je ne puis Te rafraîchir moi qui T'ai porté durant neuf mois et T'ai allaité durant trois années...».

Jésus confie sa mère à Jean jusqu'au jour où Il l'amènera auprès de Lui et Il rend le dernier soupir.

Que dire de la douleur de cette mère exceptionnelle dont le Fils mis à mort est aussi exceptionnellement innocent? Marie le reçut dans ses bras, approcha de ses lèvres le visage de Jésus et, en y déposant un baiser, y versa un torrent de larmes et continua à lui parler tendrement.

On enterre Jésus; Marie continue ses lamentations autour du tombeau malgré sa peur des Juifs, la jalousie des prêtres et l'épée des soldats. Elle reste là, près du tombeau en compagnie des saintes femmes et se lamentait avec elles *« comme on se lamente sur les grenadiers massacrés dans les champs, comme on se lamente sur un très cher premier-né »* (suivant la prophétie de Zacharie). Ainsi firent-elles du vendredi soir jusqu'à l'aube du dimanche matin, quand soudain la terre trembla, les rochers se fendirent, les anges se mirent à voler autour du tombeau, rassurèrent les saintes femmes et dirent à Marie:

« O Vierge Marie, la rose aux feuilles rouges a fleuri de manière à ne plus se faner ; éclore de joie elle s'est épanouie de manière à ne plus mourir ; le voici mûri le fruit béni de votre grappe de bénédiction. Ne craignez point, mais réjouissez-vous. Jésus que vous cherchez est ressuscité ; la place est vide et voici le linceul ».

Les saintes femmes courent annoncer la nouvelle aux disciples; mais Marie n'est pas satisfaite; elle s'asseyait près du tombeau et dit aux anges:

« Quelle consolation est-ce là pour moi que l'annonce de la résurrection, dès lors que je ne vois pas le ressuscité? Je désire voir ressuscité et avec allégresse embrasser celui que, mort, j'eus reçu dans mes bras et en pleurant je mis au tombeau. Tant que je n'aurai pas vu mon fils, bien que ressuscité, il est encore comme un mort à mes yeux ».

Marie se détourne un instant des anges et c'est à Jésus absent qu'elle adresse la parole. Puis, tandis qu'elle

reprind son dialogue avec les anges, elle les voit tout d'un coup, saisis de frayeur, se mettre debout ; pensant que la cause en est l'arrivée inopportune de quelque méchant juif, elle se retourne et voit le Christ lui-même, mais sans le reconnaître. « *Femme, pourquoi pleurez-vous, qui cherchez-vous ?* » C'est l'apparition de Jésus à Marie Madeleine sous la forme du jardinier qui est tout simplement transposée par notre panégyriste et appliquée à la mère du Sauveur, sans même en prévenir ses auditeurs, ce qui nous étonne quelque peu (1). La réponse de Marie la Vierge-Mère est formulée en conséquence :

O Jardinier, si c'est vous qui l'avez enlevé, dites-le moi, pour que je le reprenne ; il était mon unique fils et je n'ai point d'autre fils pour me consoler ; pourrai-je peut-être me consoler quelque peu avec son corps de défunt ».

Jésus se fait reconnaître et le dialogue continue à présent entre le Fils et sa Mère avec la transposition requise de la scène évangélique. Au bout de cet intime entretien le Christ donne à Marie l'intelligence du mystère de sa divinité, de son incarnation et de son règne à la droite du Père dans les cieux.



Marie se rend auprès des apôtres. Finalement, au bout de quarante jours, Jésus ressuscité, en s'entretenant avec sa mère et ses disciples, les conduit à Béthanie en passant par Gethsémani ; après avoir consolé sa mère

(1) Grand lecteur et avide d'ouvrages exégétiques, Nersès de Lampron a certainement dû lire le commentaire de S. Ephrem sur le Diatessaron de Tatien, très anciennement traduit en arménien, chez qui se trouve une exégèse pareille (Venise, texte arménien. 1836, p. 145 sqq.). Mais tout le contexte de Nersès dénote aussi chez lui la connaissance des commentaires des Pères grecs avec toutes leurs variantes, dont M. Ciro Giannelli vient de faire une si suggestive recension dans la *Revue des Etudes Byzantines*, XI, 1953, (Mélanges Martin Jugie), pp. 106-119 : *Témoignages patristiques grecs en faveur d'une apparition du Christ ressuscité à la Vierge Marie*.

une dernière fois, le Christ monte aux cieux. Marie rend grâce à Dieu et ajoute :

*O fleur du scin de Dieu le Père,
Et de moi, mère vierge, fils unique et premier-né,
N'oublie pas celle qui est ta servante et ta mère ;
Amène-moi au ciel, garant en étant ton corps,
Que de moi tu as pris et tu es monté au ciel ;
Afin que je me réjouisse à la vue de ta gloire,
Et que je te contemple assis sur le trône de ton Père.
Ne me laisse pas sans fin ici-bas étrangère,
Où douloureuse je suis assise dans le deuil,
Et j'ai hâte de venir auprès de toi pour toujours.*

En trois pages délicieuses, Nersès de Lampron nous montre Marie, entourée des pieuses veuves chrétiennes, assidue auprès de Pierre, de Jacques et de Jean, « les colonnes de l'Église » à Jérusalem. Elle reçoit le Saint-Esprit avec tous les apôtres le jour de la Pentecôte ; elle s'associe par ses conseils et ses encouragements aux joies et aux épreuves de l'Église naissante. Tout cela est dit d'une façon charmante, avec des détails concrets. Ainsi, lorsque, à la parole de Pierre, le boiteux de la porte du temple fut guéri, Marie *entend* la parole de Pierre, *voit* courir le boiteux et se prosterner le visage contre terre pour rendre grâce à Dieu le Père ; lorsque Etienne le Diacre rend le dernier soupir sous les coups des pierres, tandis qu'il voyait Jésus assis glorieux à la droite de Dieu, *une joie indicible s'empara de la Vierge à l'audition de cette nouvelle, car, non seulement les êtres célestes, mais encore de cette terre des pupilles puissantes furent dignes de contempler son premier-né assis dans la gloire de Dieu.*

Pierre et Paul se partagèrent l'humanité et restèrent fidèles à leur engagement, *mais seulement*, dit saint Paul, *souvenons-nous des pauvres, et pauvre était la divine Mère vierge en compagnie des veuves, qui, comme Elle,*

avaient besoin du service des apôtres, car là où son fils avait été crucifié, on lui avait donné à Elle le surnom de pauvre. Jacques frère du Seigneur et Jean le disciple bien-aimé restèrent à Jérusalem en son honneur et pour la servir ; ils se privèrent d'apostolat au dehors jusqu'au rappel de Notre Dame au ciel».

Quelle humble obéissance envers Marie de la part du troupeau du Christ, de la part de Pierre en particulier, chef de ce troupeau, en souvenir de l'obéissance du Christ lui-même à Marie sa mère. Mais Elle, la source de la mansuétude, la mère de la modestie, la perle sans tache, toujours humble, était à la peine avec eux et les encourageait dans l'œuvre évangélique ; elle consolait les affligés et lors des persécutions elle réconfortait par l'espérance de la gloire. Elle était toujours la première à la prière ; elle visitait les lieux des souffrances de son fils et y faisait constamment des tournées avec de l'encens et des lanternes ; et elle subissait beaucoup d'insultes de la part des Juifs. Ceux-ci empêchaient Marie de prier dans les lieux de souffrances du Sauveur ; ils suscitérent beaucoup de persécutions et d'ennuis à la Vierge Sainte. Mais l'autorité appartenant aux Romains et eux ne pouvant porter la main sur sa personne, ils reculaient devant leurs mauvais desseins. La Vierge Sainte resta à Jérusalem sous la garde de Jacques et de Jean jusqu'à l'instant de son passage au ciel... Mais elle n'y est pas entrée gratuitement ; elle a mené une vie mortifiée et par de multiples persécutions (qu'elle a subies), elle a participé à la croix de Jésus.

Enfin le jour du rappel est arrivé. Le panégyriste y consacre treize sur les quarante quatre petites pages de son discours total. Nersès va mettre en œuvre toutes les ressources de son talent et de sa piété pour paraphraser à sa façon le récit du Trépas de Marie attribué au

pseudo-Denys l'Aréopagite, le Cantique des Cantiques fournissant les accents de tendresse requis par les circonstances. Il est un détail curieux que n'a point relevé l'éditeur du texte, c'est que le nom du disciple de saint Paul, Titus, qui intervient dans le récit, est devenu Réthéos dans les manuscrits arméniens, par une bévue des copistes.

A un signal divin tous les apôtres arrivent à l'improviste à Jérusalem et demandent à Jean le motif de leur convocation. Jean répond que *l'invitation à Marie d'entrer au lieu du repos préparé est déjà arrivée et qu'eux sont convoqués pour honorer ce grand jour par leur présence.*

En chœur les apôtres pénètrent auprès de Marie, la saluent profondément et demandent au disciple Réthéos de prononcer le discours de circonstance en l'honneur de Marie. Beau discours plein d'émotion rappelant le mystère de l'Incarnation et l'association de Marie à la vie du Sauveur; mais le discours est plus d'une fois fictivement interrompu par d'autres. Gabriel l'archange invite Marie auprès des anges dans la Jérusalem céleste, avec les termes du Cantique des Cantiques *«Viens du Liban, ô Epouse, viens du Liban...»*. Jean murmure en versant de douces larmes: *«Mon cœur et mon corps défaillent, ô Sainte Vierge; vous m'avez été donnée comme part et mère pour toujours et moi je reste à présent loin de vous en une basse région»*. Michel (l'archange) dansait de joie et disait: *«Tu m'as ravi le cœur, ma sœur fiancée...»*. Ainsi de suite, alternativement, Saint Paul, les séraphins, saint Jacques. L'orateur d'occasion choisi par le chœur apostolique achève son discours. Tandis que les assistants s'avançaient plus près de Marie et lui offraient à présent leurs ultimes souhaits, *Elle prit entre ses mains le tableau de son portrait, l'appliqua et le serra contre son radieux visage et y déversa, avec la rosée de ses larmes, des grâces merveilleuses.* Les apôtres consolés se passent le tableau les uns aux autres et le baisent pieusement.

Les paroles rythmées et rimées se pressent sous la plume du panégyriste. J'abrège. Le ciel s'ouvre, une vive lumière inonde l'espace, la cour céleste en descend avec le Fils de la Vierge sainte; une lumière incorruptible couvre les flambeaux des apôtres, un parfum incorporel efface celui de l'encens... Le Fils glorieux est là au chevet de sa Mère et l'invite dans son domaine paternel. Marie fait signe aux apôtres que son Fils est là et dit:

«C'est la voix de mon Fils; le voici venu en courant sur les montagnes et bondissant sur les collines; le voici revenu dans l'intime lieu de son habitation. Mon Fils me répond et dit: Lève-toi et viens, ma Mère, ma Belle, ma Colombe, viens au domaine paternel et repose-toi dans un tabernacle magnifique. Allons, vous, collèges des apôtres, vous qui êtes les demoiselles d'honneur de mes noces, introduisez-moi dans le cellier, dressez au-dessus de moi l'étendard de l'amour, soutenez-moi avec des parfums...».

Enfin après une dernière invitation adressée à sa Mère avec des termes empruntés toujours au Cantique des Cantiques, son Fils *la* prend (le pronom *la*, remplaçant le mot mère et non le mot âme), tandis que les apôtres enveloppaient *son corps* dans un linceul et le transportaient en procession dans un tombeau à Gethsémani. Le récit traditionnel des apocryphes continue: les Juifs s'émeuvent; celui qui a osé porter la main au cercueil se la voit détachée de son bras, d'autres deviennent aveugles; les apôtres les gourmandent et finalement les guérissent. Le saint corps est déposé dans le tombeau et durant trois jours les anges chantent et dansent tout autour.

Ici le panégyriste ne mentionne pas l'anecdote de l'apôtre retardataire qui oblige le collège apostolique à rouvrir le tombeau; mais il rapporte de suite que le Christ Seigneur, ayant soulevé dans les airs l'esprit de sa mère avec son corps, les emporta avec joie et allé-

gresse et les reposa dans le temple du roi céleste son Père. Après un bref éloge de ce temple céleste, c'est le défilé devant la Divine Mère de chacun des chœurs des troupes célestes avec les louanges appropriées à leurs bouches. Remarquons les derniers mots de cette catégorie : *Aujourd'hui le Chérubin rentre dans le fourreau son épée de feu et fraie le chemin, pour que la Vierge sainte puisse toucher à l'arbre de vie*. L'orateur a ménagé la transition; il peut maintenant introduire les êtres de la race humaine.

Adam voyant la ravissante grâce de sa fille dit : « Celle-ci est la mère de tous les vivants ». Ève embrasse sa fille qui mit une limite et fit reculer ses douleurs d'enfement et sa tristesse. Abraham et Sara viennent lui donner un baiser, car en son Fils furent bénies toutes leurs descendances. Notre orateur fait défiler à la suite Moïse, David, Salomon, les prophètes Isaïe, Ezéchiel et Zacharie. Jean le fils de la Stérile vient au devant de sa parente et crie à haute voix le chant même dit par sa mère à lui : « Tu es bénie entre les femmes et béni est le fruit de tes entrailles, ô Mère de mon Seigneur, qui viens auprès de nous au ciel ».

Mais déjà notre orateur passe du jour historique du *Transitus* de Marie au jour anniversaire qu'est la fête de l'Assomption et qui rassemble toutes les créatures du ciel et de la terre dans la glorification de Marie. La prière suivante termine ce beau morceau littéraire qu'est ce panégyrique de saint Nersès de Lampron :

« O Marie, Mère qui avez engendré Dieu, douce et accueillante à ceux qui espèrent en vous ; Vous, honneur des vierges et gloire des anges, Vous seule intercédez avec audace pour l'univers ; Vous, dépositaire des biens et source de miséricorde pour ceux qui avec foi sont suspendus à vos pieds sacrés ; l'assemblée ici réunie est dans l'attente et à genoux implore votre pitié ! Vous, Sainte Vierge, qui aujourd'hui fûtes placée proche de la Sainte Trinité, implorez pour l'Eglise la paix et pour nos personnes le salut ; Vous, Notre Dame, qui êtes toute audace auprès de votre Fils

unique, priez pour son troupeau racheté au prix de son sang, afin qu'Il garde au complet ses divers membres en vue de la pleine croissance de son corps : les Evêques pour guider, les prêtres pour expier, les autres ordres pour donner de l'espoir, les clercs pour éduquer, le peuple entier pour les suivre avec docilité. L'Eglise vous implore et à genoux vous supplie, condescendez et priez votre Fils unique pour la tranquillité des rois, la joie des princes, la protection des soldats, la sauvegarde des villes et la tutelle de tous ceux qui, de tout âge, s'y trouvent abrités ; afin que, par des chants unanimes et en chœur unique, nous Vous fêlions ici-bas et dans le pavillon de vos fils aînés, en vue de la gloire de la Très Sainte Trinité, Père, Fils et Saint-Esprit, maintenant et toujours et pour l'éternité des éternités. Amen ».



Ce n'est pas le lieu de souligner l'importance que revêt l'apparition de pareilles productions chez un peuple pour caractériser l'évolution de sa littérature nationale ; j'ai voulu seulement signaler aux lecteurs les pensées pleines de tendresse et de doctrine, toute embaumées du lyrisme du Cantique des Cantiques, jaillies des lèvres de deux saints arméniens qui ont vécu respectivement l'un à la fin du X^e siècle, et l'autre du XI^e.

1er Mai 1954

L'IMMACULÉE CONCEPTION DANS LA TRADITION ORIENTALE

(Antiquité et Moyen-Age)

d'après le R. P. Martin Jugie A. A.

PAR LE

PÈRE FERNAND DE LANVERSIN S. J.

A la veille de l'année mariale paraissait le livre du Père Jugie: l'Immaculée Conception dans l'Écriture Sainte et dans la Tradition Orientale.

La foi inébranlée de notre Orient chrétien au privilège de Marie s'y manifeste surabondamment: cela mérite sans doute d'être exposé en un tableau d'ensemble pour ceux qui n'ont pas le loisir d'en poursuivre l'étude plus détaillée.

Marquons-en d'abord les limites.

Je dis: les limites, plutôt que les ombres: car si quelque ombre s'est prolongée durant les quatre premiers siècles, c'est vraiment la pleine lumière à partir d'Éphèse (431).

Jusque là les plus grands eux-mêmes, un saint Basile, un saint Chrysostome prêtent à Marie quelque imperfection. Origène a vu dans le glaive prédit par Siméon, non pas la seule douleur qui devait transpercer de sa pointe aiguë le cœur maternel à la vue de son Fils livré par les siens et «abandonné de Dieu», mais de l'hésita-

tion, du doute à son sujet (1). Cette exégèse malheureuse eut une emprise tenace. Saint Cyrille n'en est pas entièrement dégagé (2), et on en retrouve encore après lui quelques échos tardifs.

Avant la définition d'Éphèse Saint Epiphane (3) est, chez les Pères grecs, le plus net et le plus affirmatif de tous touchant l'absolue pureté de la Mère de Dieu. C'est premièrement d'une inimitié entre le diable et le Fils de Marie qu'il entend l'annonce de Gen. 3; il hésite même à croire que la Vierge toute pleine de grâce (*κατὰ πάντα κεχαριτωμένη*) ait passé, ne fût-ce que transitoirement, par la mort.

Mais la définition d'Éphèse a été pour l'Orient une lumière décisive. «Mère de Dieu», cela dit tout. Le peuple chrétien sent d'instinct ce que Dieu doit à sa Mère ou plutôt veut pour sa Mère, et pas une voix n'y viendra troubler franchement l'accord entre la foi des fidèles et l'enseignement des doctes.

Il en fut autrement — on le sait — en Occident.

Là s'est posée la question: une fille d'Adam, descendant de lui suivant la loi de l'humaine génération, peut-elle échapper à la contagion? Et, sous forme plus précise: le peut-elle autrement que par Jésus-Christ? Dès lors soustraire la conception de Marie à la tache originelle, n'est-ce pas soustraire Marie elle-même à la Rédemption du Christ, qui n'a plus lieu de s'exercer sur l'heureuse immaculée?

C'est à cette objection que butèrent longtemps les plus doctes: un saint Bernard, un saint Thomas, tandis que le peuple chrétien continuait de célébrer la fête de la Conception sans s'embarrasser des difficultés, ou persuadé par avance qu'elles trouveraient leur solution.

(1) in *Lc. Hom.* 17 P. G. 13. 1045. *Corpus Berol.* 9, 116, Jugie p. 64.

(2) *Homil. in occursum Dni* P. G. 77, 1049. Jugie p. 78.

(3) *Adv. Haer.* 78 P. G. 42, 728-29. Jugie p. 71.

La solution se fit attendre. Elle finit cependant par triompher de toutes les hésitations, et un mot de la Bulle *Ineffabilis* en contient l'essentiel. La Bienheureuse Vierge a été «préservée», mise à l'abri. En droit, vu son origine, elle devait contracter la souillure, et seule la Rédemption de son Fils pouvait l'en exempter. Elle est la première des rachetées, d'une Rédemption plus excellente, qui la préserve au lieu d'avoir à la guérir.

En Orient la question ne s'est pas posée.

Non que le dogme du péché originel y fût inconnu. Dès textes très explicites affirment que tout descendant d'Adam vient au monde souillé. C'est chez Origène que nous lisons un des premiers témoignages du baptême des enfants, «de tradition apostolique», dit-il, dans l'Église et dont le motif est l'état de souillure de tout homme qui vient au monde (1).

Dans les textes même où ils traitent de la conception de Sainte Anne, il arrive aux Pères grecs de faire allusion à la corruption universelle de la famille humaine, — jamais cependant sous forme d'objection à résoudre, uniquement pour montrer en Marie le point de départ d'un ordre nouveau de grâce et de pureté.

Aussi n'est-ce pas sous forme négative d'exemption ou préservation du péché qu'ils présentent le privilège de Marie, — mais toujours sous forme positive de sainteté, pureté parfaite.

Autrement dit, il serait vain de chercher dans leurs œuvres l'affirmation explicite du dogme de la Conception *sans péché*. C'est implicitement qu'il faut le reconnaître dans leurs affirmations.

Est-ce possible?

Je crois qu'il faut dire: c'est non seulement possible, mais facile et cela s'impose au regard simple et droit du fidèle.

(1) in Levit. H. 8, 3 P. G. 12, 495-6.

Dans le concert unanime de louange et d'admiration qui salue l'entrée au monde de la Vierge, dans la place qui lui est assignée, dans l'idée qui nous est par tout l'ensemble suggérée de sa beauté, de sa pureté, il paraît évident que l'idée d'une souillure primitive, si peu durable fût-elle, détone absolument.

Mais, cela dit, le Père Jugie nous met en garde contre trop grande précipitation. Un choix sévère s'impose, nous dit-il, des épithètes où se puisse reconnaître le privilège unique de la Théotocos.

D'autres que Marie, une sainte Cécile par exemple, seront dites couramment «toutes saintes», «toutes pures», «jardin fermé», «source scellée». Plus expressive et plus forte, sans être absolument décisive, l'adjonction de l'article, qui sépare, comme privilégiée, *la* toute sainte ἡ παναγία *la seule* toute pure ἡ μόνη παναγίως ; et, de toutes les expressions, la plus parlante à ses yeux serait : *la Bénie, la seule toujours bénie*, parce que s'opposant à la malédiction.

Autrement dit, c'est moins un titre, si décisif nous parût-il, qui doit avant tout éveiller notre attention qu'un thème de doctrine et de réflexion. Ce sont ces quelques thèmes, revenant sans cesse, par rappel explicite ou par allusion, dans la prédication et les écrits des docteurs byzantins du Vème au XIIIème siècle, que nous voudrions parcourir rapidement pour en montrer la portée spécialement efficace.

C'est en la fête de la Conception de Ste. Anne que sont prononcées un bon nombre des homélies auxquelles nous devons nous référer. Il semble utile avant d'en aborder les développements de dire un mot de la fête même. Jusqu'à Éphèse une fête unique de la Vierge, la «Com-mémoraison de Sainte Marie» se célèbre dans l'année liturgique, aux environs de Noël. Après Éphèse, très rapidement se développe tout le cycle marial : conception

(9 déc.) (1) et naissance (8 sept.), annonciation (25 mars) et assomption (15 août), la Présentation (hypapante) fêtant fête du Sauveur. Le cycle est complet et bien établi dès le temps de Justinien.

De ces fêtes, celle de la conception, dite «conception d'Anne», rappelle l'entrée au monde de la future Mère de Dieu: conception miraculeuse mais non virginale, de parents stériles mais ayant commerce entre eux, comme celle de Jean-Baptiste. La fête en célèbre l'annonce par un ange, comme pour le Précurseur, elle en glorifie le caractère miraculeux et surtout l'entrée au monde de la Théotocos.

Voyons donc quelques-uns des développements familiers aux prédicateurs de cette fête.

On pourrait presque dire qu'ils tournent tous autour du titre de *nouvelle Eve*. Mais c'est le cas de nous souvenir de l'avertissement du Père Jugie: un simple titre serait peu. Voyons ce qu'il recouvre, ou plutôt ce que prétend y montrer la théologie et la piété des docteurs byzantins.

Naturellement l'accent porte d'abord sur les deux personnes, Ève et Marie; et tout, de ce point de vue, porte sur la nouveauté de l'œuvre divine. En Marie, comme en Ève la première mère, c'est *du tout neuf* qu'inaugure le Tout-puissant et Tout-bon Créateur.

«Argile nouvelle», «ferment nouveau» nous disent André de Crète (2) et Théodore Studite (3); «monde nouveau» *νέος κόσμος*; «modèle nouveau» *νέον ἄνθος*; reprend Jean le Géomètre (4); et Photius: «chef-d'œuvre taillé dans le pur roc par le Divin Sculpteur».

(1) La différence de date entre Orient et Occident semble tenir aux idées physiologiques des anciens qui attribuaient à la portée normale d'une fille au sein maternel un jour de moins que pour un garçon.

(2) Jugie: op. cit., p. 105-113.

(3) ibid., p. 130-2.

(4) Jugie: p. 185-9.

Les comparaisons se multiplient selon le génie propre de chaque orateur ou écrivain. Un Psellos (1), grand polygraphe, plus heureux ici qu'en son panégyrique de Cérulaire, tout en déclarant qu'il ne saurait trouver similitude adéquate, utilise les notions cosmogoniques de son temps: «Comme le ciel est formé de la fleur des éléments primordiaux, d'où sa stabilité son incorruptibilité, ainsi à plus forte raison le corps de cette Vierge est-il de la plus pure substance pour servir de sanctuaire à cette âme».

Plus simple, mais non moins parlante, la comparaison tout évangélique de Néophyte le Reclus (+ 1220) que nous retrouverons plus loin, nous parle d'un peu de pur levain mêlé aux trois mesures de notre pâte vieillie.

C'est déjà nous parler de *prémices*.

Le terme et l'idée reviennent souvent, chez André de Crète, chez Jean d'Eubée, pour mettre en parallèle, non plus les seules personnes, Ève et Marie, mais leur fonction, leur rôle; et le parallèle dès lors se double du contraste.

Ève et Marie: l'une et l'autre mère de vie. Mais tandis que la première ne transmet qu'une vie corrompue et vouée à la mort, la Vierge «porte de vie» nous introduit à la vie incorruptible, «Bénie entre les femmes» elle arrête le flot impur qui depuis la première se déverse sur sa descendance. Elle est «rupture de la malédiction» *λύσις τῆς ἀρχῆς* nous dit la Liturgie, que répètent en termes équivalents Théodore Studite et Nicétas David.

En une émouvante prosopopée Pierre d'Argos (début du X^{ème} s.) (2) évoque la nature humaine et lui prête cette belle élévation en la fête de la conception d'Anne: «Je vous rends grâce, Seigneur, de ce que vous avez commencé à arracher les épines de ma condamnation. Voici que naît de moi dans le sein d'Anne cette rose qui me délivre de la pesanteur du péché».

(1) Jugie: p. 190-3.

(2) Jugie: p. 183.

Un aspect souvent rappelé de la faute de notre première mère est la victoire remportée par l'ennemi de notre race.

Sa défaite définitive est préparée et assurée par Marie, mère de Jésus son Vainqueur, ainsi que l'attestent, entre bien d'autres, S. Ephrem, Chrysippe de Jérusalem, S. Epiphane, Théodore Studite, Jean le Géomètre.

Il semble utile d'insister ici quelque peu.

C'est le plan même de Dieu — ce que Saint Paul appelle «le Mystère» — que les pères ont lu en toute clarté dans la sentence portée contre le serpent (Gen. 3,15). Sur la portée de ce texte nos exégètes modernes s'interrogent et discutent: y peut-on reconnaître Marie? A quel titre, et selon quel sens? Sens purement typique ou sens plénier prolongeant le sens littéral? Les pères n'hésitent pas: ils voient Marie directement visée. Ainsi comprennent-ils la sentence, claire annonce du plan divin:

Par une femme tu as vaincu: par elle tu as introduit le péché, la mort et leur esclavage. Par une femme tu seras définitivement écrasé: la vie sera rendue, la grâce et la bénédiction. *Ἐξαιθὲν οὕτως* insiste Théodore Studite: «De là même d'où nous venait la mort, la vie surgira». Et Jean le Géomètre en son texte quasi intraduisible: «Par une et un, femme et homme, malédiction et tristesse (nous sont venues); aujourd'hui par une et un c'est la bénédiction et la joie». *καθάρως διὰ μιᾶς καὶ ἑνός, ἡ γυναῖκα καὶ τὸν ἄνδρα. ἡ ἀρὰ καὶ ἡ λύπη, οὕτως καὶ νῦν διὰ μιᾶς καὶ ἑνός ἐπιθυμία τε καὶ γαλήνη.*

C'est bien là, semble-t-il, que se manifeste le mieux la pensée des pères sur la Vierge, Mère du Dieu Rédempteur, Sauveur du monde et Vainqueur de Satan; Mère de Celui qui devait, son heure étant venue, annoncer clairement: «C'est maintenant que le prince de ce monde va être chassé». Inséparable de Lui, dans cette

œuvre du Fils de l'homme, les pères grecs ont vu sa mère. Dès son apparition au sein d'Anne l'œuvre est commencée et la défaite annoncée pour le prince de ce monde. Toute sa puissance *sur notre race* expire devant ce rejeton nouveau qui bientôt portera son fruit.

D'autres convenances apparaîtront sans doute, dont on ne saurait nier la valeur. Future mère de Dieu, Théotocos, ne doit-elle pas de sa propre substance fournir au Fils de Dieu sa chair et son sang? Comment ne serait-elle pas toute pureté et incorruptibilité?

Elle est de ce fait plus que le Temple, plus que le Saint des Saints.

Aussi, recueillant la tradition du Protévangile de Jacques, suivant lequel la Vierge, présentée au temple à trois ans, aurait été nourrie dans le Saint des Saints: ce n'est pas elle qui en est sanctifiée, déclare Saint Germain, mais le Saint des Saints lui-même par sa présence. De sa substance sera comme pétri plus tard le Pain de vie. Citons ici la page du Reclus Néophyte, à laquelle nous avons déjà fait allusion (1):

«Anne délivrée par le Créateur des liens de la stérilité, conçoit Marie, la fille de Dieu *Θεογενής* qu'elle a enfanté aujourd'hui comme prémices de notre salut; et la Mère immaculée du Dieu Verbe, comme les prémices de la rénovation de notre nature vieillie et terine par la transgression. Imitant la femme de la parabole qui mêle un peu de levain à trois mesures de farine pour faire lever toute la pâte, le Créateur a repétri et renouvelé par ce levain pétri de ses mains divines toute notre pâte vieillie. Mais voici la merveille des merveilles: le Boulanger divin s'est mêlé lui-même ineffablement à ce levain très pur et en ayant pris une petite partie a travaillé de manière admirable toute la fournée. C'est pourquoi Il disait: Je suis le Pain vivant».

(1) Jugie: p. 209.

Ainsi les pères nous apprennent-ils à ne pas isoler les mystères, à les replacer toujours dans l'ensemble du plan divin, où ils s'éclairent l'un l'autre.

C'est ainsi que fréquemment à propos de la Dormition ils rappellent ce que fut dès son premier instant le corps de la Vierge et sa vie toute pure. Conception et Dormition se répondent: à conception nouvelle, nouvelle dormition; celle qui apparut toute pure en sa conception même ne saurait retourner à la terre. «Arrière, la corruption: pas de poussière sur toi: tu es refonte de vie: Ἐπεὶ τὸ γένος ἐκείναι ἀνέκλειστον ἔσται» (1).

L'invitation de Pie XII en sa bulle sur l'Assomption était donc déjà celle des pères orientaux du VIII^e et IX^e siècles: nous remettre en face du portrait de sa Mère, tel que Dieu l'a conçu et tel qu'il se révèle à nous dans l'Écriture et la Tradition. Cela doit suffire à nous manifester qu'il y manquerait un trait essentiel sans la pleine victoire sur la mort.

C'est ce que, à la suite des mêmes pères, nous avons essayé de montrer pour l'Immaculée Conception.

La contre-épreuve est facile. Le privilège une fois admis, tout s'éclaire. Plus d'hyperbole, mais exacte vérité dans les affirmations les plus hardies: en Marie tout est unique (2); — la grâce en elle prévient la nature (3); — le sexe féminin est réhabilité (4). L'inépuisable litanie des titres de la Vierge, dont celle de Lorette n'est qu'un abrégé, n'est plus faconde orientale, mais authentique richesse. «Prémices, monde nouveau, conçue dans la joie, rose parfumée, lis entre les épines, bénédiction, délivrance, porte de la vie, rejeton de justice, temple saint...». Nous avons parcouru quelques-uns des vocables, et, prudemment mis en garde, nous avons sus-

(1) S. German. Const. H. II in Dorm. P. G. 98, 357.

(2) S. Germ. Const. H. in Amunt. P. G. 98, 328.

(3) S. Ioan. Damasc. in Nativ B. M. P. G. 96, 664.

(4) Proclus de Const. P. G. 65 717.

pendu notre jugement. Mais tout bien examiné, il apparaît qu'ils ne sont pas le fait de panégyristes en quête de mots à effet, mais la voix même du peuple chrétien; que leur accumulation témoigne non de surenchère, mais de son impuissance à exprimer ce qu'il croit et ce qu'il sent.

C'est bien en effet la foi de tout le peuple chrétien qu'expriment au long du M.-A. les principaux théologiens et prédicateurs de l'Orient dont nous avons, à la suite du Père Jugie, évoqué les textes et les noms: avant tout, dans la 1^{ère} moitié du IX^{ème} siècle, S. André de Crète et S. Germain de Constantinople, les deux grands docteurs mariaux, avec leur contemporain S. Jean de Damas, mais à leur suite une lignée ininterrompue où ne manquent pas les gloires secondaires: Théodore de Stoudion, Jean le Géomètre, Michel Psellos, le grand exégète Théophylacte.

Il faut le redire: durant toute cette période, pas une voix discordante. La première à élever, non pas même une protestation, mais un doute sur le privilège de Marie ne viendra qu'entre 1320 et 1330 de la part de Nicéphore Calliste, comme un lointain écho des controverses d'occident; la négation catégorique et obstinée étant réservée à notre temps en réaction à la définition Romaine.

Parmi ceux qui, non pas explicitement, mais le plus clairement se sont montrés partisans du privilège de Marie il faut compter le patriarche Photius. On sait assez de quelle érudition sûre et de quelle science théologique se peuvent prévaloir ses écrits, tant que ne s'y glisse pas l'esprit d'opposition à Rome.

Chez lui, comme chez ses contemporains c'est sous forme positive plutôt que sous forme d'exclusion de toute tache qu'il faut retrouver le privilège, bien que deux fois au moins il écarte très explicitement de l'âme de Marie durant la Passion le soupçon même d'un doute

sur la divinité de son Fils que lui prêtait l'exégèse d'Origène (1).

Citons ce beau passage de la seconde homélie sur l'Annonciation (2): «L'archange va vers Marie, la fleur odorante et immarcescible de la tribu de David, le très grand et très beau chef-d'œuvre de la nature humaine taillé par Dieu lui-même. Cette Vierge cultive les vertus pour ainsi dire dès le berceau; elles croissent avec elle; sa vie sur la terre est digne des esprits immatériels... Aucun mouvement désordonné vers le plaisir, même par la seule pensée, dans cette bienheureuse Vierge. Elle était tout entière possédée du divin amour. Par cela et par tout le reste elle annonçait et manifestait qu'elle avait été véritablement choisie pour épouse au Créateur de toutes choses, même avant sa naissance. La colère, ce monstre redoutable, elle l'enchaînait par les liens indissolubles du calme intérieur et faisait de toute son âme le sanctuaire de la douceur.

On ne la vit jamais relâcher les ressorts de sa mâle vertu et de son courage. Même durant la Passion du Seigneur, dont elle fut témoin, elle ne laissa échapper aucune parole de malédictions et d'irritation, contrairement à ce que font les mères quand elles assistent au supplice de leurs enfants... C'est ainsi que la Vierge mena une vie surhumaine, montrant qu'elle était digne des noces de l'Époux céleste et donnant l'éclat de sa propre beauté à notre nature informe, qu'avait souillée la tache originelle. C'est à elle que Gabriel, ministre du mystère de l'avènement du Roi, tient ce noble langage: «Salut, pleine de grâce; le Seigneur est avec toi», qui, par ton intermédiaire va délivrer tout le genre humain de l'antique tristesse et malédiction».

— N'est-ce pas pour nous bonne occasion de cons-

(1) Hom. sur l'hypap. (Aristarchis I, 185).

(2) ibid. II, 372.

tater comment se fait dans l'Église le progrès dogmatique?

A question nouvelle qui se pose l'Église s'interroge.

Non par quelque mystérieuse prise de conscience qui équivaldrait à un prolongement de la Révélation, mais par procédés bien spécifiquement humains. Elle réfléchit sur sa doctrine; elle scrute son passé.

Le raisonnement et la déduction auront leur part: ils ne seront pas seuls.

L'enseignement de ses docteurs, les écrits de ses théologiens, les pratiques de son culte et la dévotion de ses fidèles sont évoqués tour à tour.

C'est de cet ensemble qu'avec l'assistance divine, mais suivant le mode de juger et de conclure, de manière délicat, mais tout à fait approprié à semblables questions, le magistère forme son jugement.

Lumière communicable à l'âme loyale, disions-nous dès le début.

Nous ne saurions donc trop souhaiter que de voir nos frères séparés étudier avec des yeux neufs leur passé, ceux qu'ils reconnaissent comme leurs docteurs, bien assurés qu'ils y reconnaîtraient le privilège de Marie.

N'y aurait-il pas dans ce pas un rapprochement décisif, et notre confiance serait-elle vaine en celle qui est la très sûre et céleste Porte?

